سيرة الأئمة الاثني عشر

القسم الثاني

هاشم معروف الحسني

سيرة الأئمة الاثني عشر

القسم الثاني

هاشم معروف الحسني

سيرة الأئمة الاثني عشر

القسم الثاني

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

حقوق الطبع محفوظة

١٤١١هـ - ١٩٩٠م

المكتب : شارع سوريا - بناية دوريش - الطابق الثالث
الادارة والمعرض - حارة حريك - المنشية - شارع دكاش - بناية الحسنين
تلفون - ٨٣٧٨٥٧
ص. ب ٨٦٠١ - ١١

القسم الثاني

في القسم الأول من سيرة الأئمة (ع) لمحات عن سيرتي السيدتين جدتي الأئمة الأطهار الصحابية الأولى خديجة الكبرى وابنتها الصديقة الزهراء (ع) تقديرا لخدماتها ووفاء لحقها على كل مسلم ومؤمن بالله واليوم الآخر، وعرض ودراسة لبعض الجوانب من سيرة الإمامين العظيمين علي بن أبي طالب وولده الحسن السبط (ع) وما رافق حياتها من أحداث، وفي هذا القسم عرض سريع لبعض الجوانب من سيرة الأئمة الباقين يبتدىء بسيرة الإمام الثالث الحسين بن علي أبي الشهداء (ع) حتى الإمام الثاني عشر الحجة المنتظر (ع) مع تحليل وتقييم لبعض الاحداث والتطورات التي كانت تعترض مسيرتهم وتستهدف حياتهم بواسطة الحاكمين في عهدين كان الظلم والجور ومطاردة المصلحين والعاملين لخير الإنسان من أبرز الجوانب في تاريخها.

الإمام الثاني عشر

الحجّة بن الحسن المهدي "عليهما السلام"

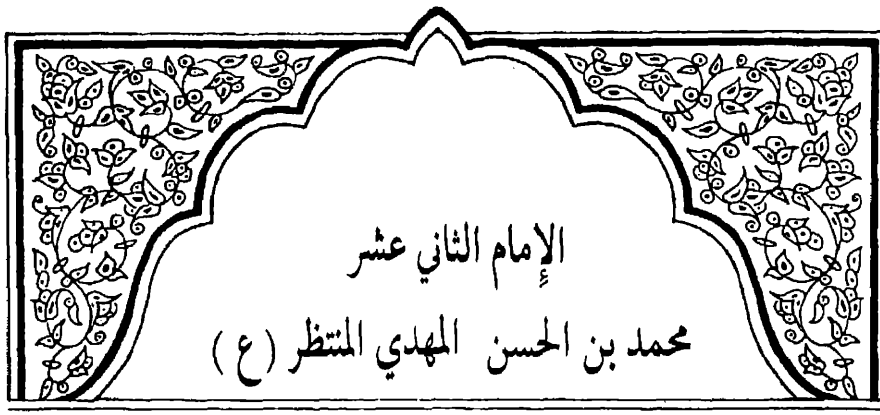

الإمام الثاني عشر
محمد بن الحسن المهدي المنتظر (ع)

لقد ولد الإمام ابو القاسم محمد بن الحسن مهدي هذه الأمة وأملها المرتجى الذي يحيي الله به الحق والعدل ويعيد الى الأمة حريتها وكرامتها ويملأ الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا ، ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ قبل ان تصل الخلافة الى المهتدي العباسي بشهر تقريبا ، وتوفي والده (ع) وله من العمر خمس سنوات كما جاء في اكثر الروايات فآتاه الله الحكمة وجعله آية للعالمين واماما للمسلمين كما جعل عيسى بن مريم وهو في المهد نبيا .

وتدل بعض المرويات ان حكيمة عمة الإمام العسكري زارته في يوم من الايام قبيل ولادة الإمام محمد بن الحسن (ع) ولما ارادت ان تذهب رغب اليها الإمام بأن تبقى في بيته تلك الليلة وأخبرها بأن زوجته نرجس ستلد له المولود المبارك ولم يكن قد ظهر عليها اثر من آثار الحمل وبعد حوار طويل بين حكيمة والإمام (ع) كما يروي الرواة باتت ليلتها في بيته الى جوار زوجته وقبيل الفجر من ليلة النصف من شعبان انتبهت نرجس من نومها وعليها آثار الاعياء وتمت الولادة على يد حكيمة عمة الإمام العسكري (ع) وأمر الإمام ابا عمر عثمان بن سعيد بأن يعق عنه عددا من الشياه وان يشتري كمية كبيرة

من اللحم والخبز ليوزعه على الفقراء ، فنفذ عثمان بن سعيد امر الإمام كما يريد .

وقد ولد الحجة محمد بن الحسن لأبيه من ام رومية تدعى سوسن ونرجس وريحانة وصقيلة ولعلها كانت تعرف بين أفراد عائلة الإمام بنرجس ، وأكثر ما كان الإمام يناديها بهذا الاسم ، وقيل ان الإمام الهادي قد ارسل بعض خاصته الى بغداد حيث كانت تعرض الغنائم في سوق من اسواقها فاشتراها له وزوجّها من ولده الحسن (ع) ، وقيل إنها كانت لحكيمة شقيقة الامام الهادي (ع) وزوجتها لابن اخيها الحسن العسكري .

وتذهب الروايات التي تحدثت عنها بأنها كانت من بنات الملوك وان امها من ولد شمعون الصفا ، وقد حاول جدها القصير ان يزوجها من ابن اخيه واجتمع الناس لهذه الغاية ، وقبل ان يتم الزواج تساقطت الصلبان وانهارت اعمدتها وخر العريش عن عرشه مغشيا عليه فتشاءم جدها قيصر ومن حوله من الاساقفة الذين اجتمعوا لاجراء مراسيم الزواج وانتهى المجلس بدون ان يتم شيء ، وتضيف بعض الروايات الى ذلك انها رأت في الطيف كأن في مجلس جدها اجتماعا ضم السيد المسيح وشمعون الصفا وجماعة من الحواريين ، ودخل عليهم النبي العربي محمد بن عبد الله في جماعة من ولده فيهم ابو محمد الحسن العسكري (ع) فخطبها النبي الى حفيده العسكري ورحب المسيح بطلبه وتم الزواج بينهما في حديث طويل ينتهي به الراوي الى ان ابا محمد العسكري اتاها في بعض الليالي وأخبرها بأن جدها سيحشد جيشا لحرب المسلمين وأمرها ان تخرج مع الجيش ، فتخرج معه كما امرها وتقع اسيرة في يد المسلمين ، وأرسل الإمام بعد ذلك من يشتريها له من سوق النخاسين فاشتراها له بشر النخاس وحملها الى سامراء حيث يقيم الإمام (ع) فبشرها بمولودها المبارك المهدي المنتظر الذي يملك الدنيا ويملأ الأرض قسطا وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجورا .

وقد اختصرنا الحديث لعدم الفائدة من نقله بكامله وبنصه الحرفي كما جاء في كتب الحديث وممن رواه الصدوق في اكماله والطوسي في غيبته ، والمجلسي في بحاره وأكثر المحدثين في مجاميعهم التي حشدوا فيها الغث والسمين والصدف الى جانب الجوهر .

وقد اشتمل الحديث على بعض الخصوصيات التي ترجح كونه من صنع القصاصين والكذبة ، على ان الرواة له من المجاهيل ولم يرد لهم ذكر فيما بين يدي من كتب الرجال .

والمتفق عليه بين الرواة الموثوقين انها اشتريت للإمام ابي محمد من الاسواق التي كانت تباع بها الاسرى وكانت من الصالحات الناسكات ، وقد خفي حملها بالمهدي حتى على اكثر النساء اللواتي كن على صلة بها وشاء الله لها ان تكون اماً لأكرم مولود حارت به ظنون اقوام وضلت به عقول آخرين ، ولم يؤمن به سوى المؤمنين برسالة جده المصطفى وآبائه ائمة الهدى ، وسيخرج يوم يأذن الله له بذلك فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا .

المهدي في الاديان

لقد استعمل المحدثون والادباء والشعراء كلمة المهدي لكل من تلبس بالهدى والصلاح ودعا الى الحق والخير والصراط المستقيم كما استعملها النبي (ص) في هذا المعنى وهو يتحدث مع المسلمين في بعض المناسبات ويقول لهم : وان تؤمروا عليكم عليا ولا اراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الى الصراط المستقيم ، ووصف بها الإمام الصادق (ع) الأئمة الاثني عشر كما جاء في رواية ابي بصير حيث قال : منا اثنا عشر مهديا مضى ستة وبقي ستة يصنع الله بالسادس ما احب ، كما وصفهم بها غير الإمام الصادق من الأئمة (ع) ، ولما قيل للإمام الصادق انت المهدي من اهل البيت ؟ اجاب : كلنا مهديون نهدي الى الحق والى الصراط المستقيم .

واستعارها الشعراء في مدح ملوك العباسيين والامويين تزلفاً ورياء وطمعا في برهم وجوائزهم وعد بعض التابعين عمر بن عبد العزيز مهديا ومن ائمة الهدى لأنه كان معتدلا ومستقيما في سيرته وسلوكه ، وجاء الى الحكم بعد اولئك الذين مثلوا كل انواع الظلم والجور والاستهتار بالقيم والاخلاق .

ولقد حدد امير المؤمنين المحتوى لكلمة المهدي في وصفه للأئمة من اهل البيت بقوله : انا اهل البيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول

صادق سمعنا فان تتبعوا آثارنا تهتدوا بهدينا وترشدوا ببصائرنا معنا راية الحق والهدى من اتبعها لحق ومن تأخر عنها غرق . الى غير ذلك من المناسبات الكثيرة التي كان الأئمة (ع) وغيرهم يصفون بها من يهدي الى الحق والخير والى الصراط المستقيم ، غير انها بالمعنى الذي اصبحت فيه علما على الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري ومن مختصاته تقريبا لها دلالة اوسع وأشمل من المعنى الذي كانت تستعمل فيه كوصف لكل نبي وامام وحتى لكل مصلح يدعو الى الهدى والحق والصراط المستقيم ، انها بالمعنى الذي اصبحت فيه علما على الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن ولا يفهم منها غيره عند استعمالها وبخاصة عند الشيعة لا تعني من يتلبس بالهدى ويدعو الى الله والحق والصراط المستقيم فحسب ، بل تعني بالاضافة الى كل ذلك وغيره من معاني الخير انه سيقود الثورة على الظالمين والجائرين ويحارب الطغاة والجبابرة ويخلص البشرية مما تعانيه من قهر وجور وعدوان وما الى ذلك مما عانته البشرية منذ آلاف السنين وما زالت تعانيه وستعاني في المستقبل اشد وأسوأ مما عانته في الماضي والحاضر الى ان يحين الوقت الذي يأذن له الله فيه بالظهور فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجوراً .

وقد قيل ان هذه الكلمة التي اصبحت علما على الإمام الثاني عشر (ع) بما تعنيه في المرويات عن النبي (ص) وعن الأئمة الكرام . وعند الشيعة الامامية ليست من مختصات الفكر الشيعي كما ذهب الى ذلك جماعة من الكتّاب العرب والمستشرقين ، ذلك لأن الاعتقاد بظهور مخلص للبشرية مما تتخبط فيه شائع في الديانات القديمة وعند بعض الأمم التي لا ترجع الى الاديان السماوية ، ويدعي هؤلاء ان انبياء بني اسرائيل بشروا بظهور محرر ومخلص يبعثه الله ليخلص البشرية مما تعانيه ، وأنكروا ظهور المسيح عيسى بن مريم وقالوا انه دعي كاذب وان المسيح المخلص سيظهر في آخر الزمان او في زمان ما ، وما زال الكثير منهم ينتظرون ظهوره ، كما لا يزال الكثير من المسيحيين يعتقدون برجعة المسيح لانقاذ العالم من الظلم ومن فتك الانسان

بأخيه الانسان .

ويدعي الدكتور احمد محمود صبحي في كتابه نظرية الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية ان مسيحيي الاحباش ينتظرون عودة مليكهم (تيودور) كمهدي في آخر الزمان ، وأضاف الى ذلك ان في الديانات غير المسيحية عقائد لا تختلف عن المهدي عند المسلمين اختلافا كبيرا ، اذ يعتقد المغول ان تيمورلنك او جنكيزخان قد وعد قبل موته بعودته الى الدنيا لتخليص قومه من الحكم الصيني .

وفي الاساطير الفارسية ينتظر المجوس (اشيدر بابي احد اعقاب زرادشت) ، ومضى يقول : وفي الديانات المصرية القديمة وكتب الصينيين وعقائد الهنود القدامى المتعلقة بتناسخ الأرواح عقائد مماثلة لما عند الفرس القدامى الى غير ذلك مما جاء في مؤلفات بعض الكتّاب من العرب والمستشرقين حول الاديان والمعتقدات ، غير ان هؤلاء الذين مهدوا للحديث عن مهدي الشيعة بعرض هذه الافكار قد انتقلوا من عرضها الى ان فكرة المهدي عند الشيعة مستمدة من اولئك القدامى الذين كانوا يمنون انفسهم بظهور من يخلصهم من الظلم والطغيان ، وأضافوا الى ذلك ان الظروف التي مرت على الشيعة منذ مطلع تاريخهم جعلتهم يفكرون بنفس تفكير اولئك الذين كانوا ينتظرون من يخلصهم من شرور الحكام وطغيانهم الى غير ذلك من الخلط والهراء والتخريف .

ولو افترضنا ان الديانات السماوية التي سبقت الإسلام قد بشرت بظهور مخلص ينقذ البشرية مما تعانيه كما ينسب الى انبياء بني اسرائيل وإلى اليهودية أليس من الجائز ان يكون ذلك النبي الذي بشر بالمنقذ والمخلص في آخر الزمان عن الله سبحانه قد اشار الى المهدي الذي بشر به محمد بن عبد الله (ص) كما كان الأنبياء يخبرون عما يجري في مستقبل الزمان بواسطة وحي السماء وكما كان كل نبي يبشر بمن يأتي بعده من الأنبياء ، وقد بشرت توراة

موسى بظهور السيد المسيح ، ولكن اليهود قد مسخوها وحرفوها وادعوا بأن الذي ظهر كان دعياً وسيظهر عيسى في آخر الزمان ، كما انكر المسيحيون نبوة محمد بن عبد الله وحرفوا الانجيل الذي بشر به وما زالوا يحاربون الإسلام بكل ما لديهم من قوة وبالكذب والتشويه والتحريف .

ومجمل القول ان فكرة المخلص والمنقذ للبشرية مما تعانيه اذا صح بأنها فكرة كانت شائعة عند الامم السابقة ومستمدة من الشرائع فلا تتنافى مع التفكير الشيعي في المهدي المنتظر الذي بشر النبي (ص) بظهوره عندما يأذن له الله بذلك .

أما ان فكرة المهدي عند الشيعة قد تسربت اليهم من اليهودية والمسيحية بعد ان غلبوا على امرهم كما يزعم احمد امين في المجلد الثالث من ضحى الاسلام وغيره ممن يجدون في تشويه العقيدة الشيعية سواء في ذلك ما كان منها في المهدي وغيره ، فهو من الهراء الذي لا يعتمد على العلم والمنطق ولا مصدر له الا الحقد الموروث على اهل البيت وشيعتهم منذ اقدم العصور كما يبدو ذلك لكل من يدرس تاريخ التشيع والظروف التي احاطت به بتجرد واخلاص .

ومهما كان الحال فلما شاعت اخبار المهدي وانه من اهل البيت ومن ذرية فاطمة وضع الامويون حديث السفياني بواسطة خالد بن يزيد بن معاوية ، وقالوا بأنه سيخرج في آخر الزمان ويحكم البلاد والعباد ويعوض عما خرج من ايديهم الى مروان بن الحكم وبنيه كما جاء في النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ، وعز على العباسيين ان يكون للامويين سفياني يخرج في آخر الزمان وللعلويين مهدي وهم المنافس الوحيد لهم .

بعد ان تقلص ظل الامويين عز عليهم ان لا يكون لهم مهدي فوضع لهم انصارهم بعض الاحاديث التي تشير الى ان المهدي منهم وانه سيخلص البشرية مما تعانيه من ظلم الأمويين .

فقد جاء في الطبراني عن ابن عمر انه قال : كان رسول الله (ص) في نفر من المهاجرين والانصار وعلي بن ابي طالب عن يساره ، والعباس بن عبد المطلب عن يمينه اذ تلاحى العباس ونفر من الانصار وأغلظ الانصار للعباس فأخذ النبي بيده وبيد علي ، وقال : سيخرج من صلب هذا من يملأ الأرض جورا وظلما ، ويخرج من صلب هذا من يملأ الأرض قسطا وعدلا فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التيمي فانه يقبل من المشرق وهو صاحب راية الهدى ، ولما انتصر العباسيون على الامويين قالوا بأن المهدي منهم لانهم اصحاب الرايات التي خرجت من المشرق بقيادة ابي مسلم .

وروى الحاكم عن ابن عباس انه قال : منا اهل البيت اربعة : السفاح والمنذر والمنصور والمهدي ، فقال مجاهد : بيِّن لي هؤلاء الأربعة ، فقال ابن عباس : اما السفاح فربما قتل انصاره وعفا عن اعدائه ، وأما المنذر فانه يعطي المال الكثير ولا يتعاظم في نفسه ويمسك القليل من حقه ، وأما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه مسيرة شهر وهو الشطر مما كان يعطى رسول الله (ص) ، وأما المهدي فانه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وتأمن البهائم والسباع وتلقي الأرض افلاذ كبدها ، قال : قلت وما افلاذ اكبادها ؟ قال : امثال الاسطوانة من الذهب والفضة ، وقد لقب المنصور العباسي ولده محمد بالمهدي ليوهم الناس انه المهدي المنتظر الذي بشر به النبي (ص) ، ولما بايعه بالخلافة قام الخطباء فتحدثوا عن فضلة وأطنب الشعراء في وصفه ، ووقف مطيع بن اياس ، فقال حدثنا فلان عن فلان ان النبي (ص) قال : المهدي منا محمد وابن عبد الله وأمه من غيرنا يملأها عدلا كما ملئت جورا ، ثم اقبل على احد بني العباس وقال : انشدك الله هل سمعت هذا ؟ فقال : نعم ، خوفا من المنصور وسطوته .

وقال البلخي في كتابه البدء والتاريخ بعد ان روى حديث ابن مسعود عن النبي انه قال : لا تذهب الدنيا حتى يلي امتي رجل من اهل بيتي يواطيء اسمه اسمي ، بعد ان رواه قال : لقد تأوله قوم وقالوا : انه المهدي بن ابي

جعفر المنصور واسمه محمد .

هذه الروايات على تقدير صحتها صريحة في ان المهدي من أهل بيت النبي ، ولم يقل احد بأن حكام بني العباس من أهل بيته الا بنوع من التجوز الذي لا يصح حمل الكلام عليه الا بدليل ظاهر ، اما رواية الطبراني فبلا شك انه لما قال : سيخرج من صلب هذا من يملأ الأرض جوراً وظلما قد اشار بذلك الى العباس كما اشار بالفقرة الثانية الى علي (ع) ولكن الراوي قد رواه لهم بهذا النحو خوفا او تزلفا وطمعا في برهم وهباتهم .

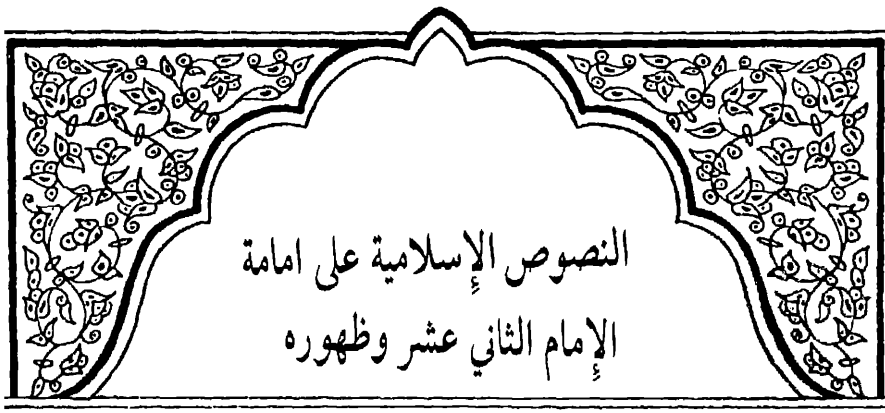

النصوص الإسلامية على امامة الإمام الثاني عشر وظهوره

لقد ذكرنا ونحن نمهد للحديث عن سيرة الأئمة الاثني عشر ما جاء عن النبي (ص) في امامتهم من طريق السنّة والشيعة وانهم خلفاؤه ولا يزال الدين قائما بوجودهم ، وفي بعض تلك النصوص انهم عدد نقباء بني اسرائيل وان آخرهم يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، وذكرنا موقف اهل السنة منها وتمحلاتهم في تأويلها بعد ان وجدوا ان لا مفر لهم من التسليم بصدورها عن النبي (ص) لكثرة من رواها من خيارهم وثقات محدثيهم .

وقد روى احاديث المهدي بالذات جماعة من محدثي السنة في صحاحهم كالترمذي وأبي داود والحاكم وابن ماجة وأسندوها الى جماعة من خيار الصحابة كعلي (ع) وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وطلحة وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأم سلمة وغير هؤلاء ممن سمعوا الرسول يردد حديث مهدي أهل البيت بين الحين والآخر حسب المناسبات .

ففي صحيح الترمذي ان النبي (ص) قال : لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي ، وفي حديث آخر للترمذي : لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطىء اسمه اسمي .

وجاء في احاديث ابي داود : لو لم يبق من الدهر الا يوم واحد لبعث الله رجلا من اهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا ، وفي بعض احاديثه انه نظر الى الحسين (ع) فقال : ان ابني هذا سيد وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلا .

وفي مسند احمد بن حنبل عنه انه قال : لا تنقضي الايام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطىء اسمه اسمي .

ويدعي الدكتور احمد صبحي في كتابه نظرية الإمامة انه قد شاع الاعتقاد في انتظار المهدي عند جماعة من أهل السنّة وان لم يتقرر كأصل من اصول عقيدتهم كما هو الحال لدى الشيعة بعد ان تحدث فيه بعض علمائهم كالكنجي الشافعي في كتابه البيان في اخبار صاحب الزمان والسيوطي في كتابه العرف الوردي في اخبار المهدي وابن حجر العسقلاني في كتابه القول المختصر على علامات المهدي المنتظر ويوسف بن يحيى الدمشقي في عقد الدرر في اخبار الإمام المنتظر ، ومضى يقول : وشارك في الاعتقاد بالمهدي المنتظر فريق آخر من علماء السنّة بالرغم من عدائهم التقليدي للشيعة وانكارهم لاكثر عقائدهم . ويعتقد ابن تيمية بصحة الحديث الذي رواه ابن عمر عن النبي (ص) ، وجاء فيه : يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته كنيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وذلك هو المهدي . وفي حديث آخر له : المهدي من عترتي ومن ولد فاطمة ، كما يرى ان ما رواه احمد والترمذي وأبو داود حول المهدي من الصحاح .

وقد اورد الحافظ ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي في كتابه البيان في اخبار صاحب الزمان عشرات المرويات عن النبي (ص) بواسطة الصحابة عن المهدي ونسبه وغيبته وعلامات ظهوره كما يبدو من مواضيع الكتاب المطبوع مع غيبة الشيخ الطوسي .

ومما جاء فيه حول المهدي عن سهل بن سليمان عن أبي هرون العبدي

انه قال : اتيت ابا سعيد الخدري فقلت له : هل شهدت بدرا فقال : نعم ، فقلت له : الا تحدثني بشيء عما سمعته من رسول الله (ص) في علي وفضله ، فقال : بلى اخبرك ان رسول الله (ص) لما مرض مرضته الاخيرة دخلت عليه فاطمة (ع) تعوده وأنا جالس عن يمين رسول الله ، فلما رأت ما به من الضعف خنقتها العبرة حتى بدت دموعها على خدها ، فقال لها رسول الله : ما يبكيك يا فاطمة اما علمت ان الله اطلع الى الأرض اطلاعة فاختار منها اباك فبعثه نبيا ، ثم اطلع ثانية فاختار بعلك وأوصى الي فأنكحته واتخذته وصيا ، اما علمت انك بكرامة الله تعالى اياك زوجك اعلمهم علما واكثرهم حلما وأقدمهم اسلاما ، فضحكت واستبشرت ، فأراد رسول الله ان يزيدها مما قسمه الله لمحمد وآل محمد ، فقال لها : يا فاطمة انا اهل بيت اعطينا ست خصال لم يعطها احد من الأولين ولا يدركها احد من الآخرين غيرنا اهل البيت نبينا خير الأنبياء وهو ابوك ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك ، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عم ابيك ، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك ، ومنا مهدي الأمة الذي يصلي عيسى خلفه ، ثم ضرب على منكب الحسين (ع) وقال : من هذا مهدي هذه الأمة .

وروي بسنده الى حذيفة بن اليمان عن النبي(ص)انه قال: المهدي من ولدي وجهه كالقمر الوردي الذي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا يرضى بخلافته اهل السماء والأرض وكما روي بسند انهاه الى سفيان بن عيينة عن علي بن هلال عن ابيه انه قال : دخلت على رسول الله (ص) في مرضه الذي قبض فيه وكانت فاطمة عند رأسه فبكت حتى ارتفع صوتها ، ومضى الراوي يحدث عما بشرها به النبي (ص) وكان من ذلك انه قال لها : منا مهدي هذه الأمة اذا صارت الدنيا هرجا ومرجا وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل وأغار الناس بعضهم على بعض ، فلا كبير يرحم صغيرا ولا يوقر صغير كبيرا فيبعث الله منا من يفتح حصون الضلالة وقلوبا غلفا يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في اول الزمان يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا .

كما روي بسند ينتهي الى ابي سعيد الخدري انه قال : ذكر رسول الله (ص) بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، لا تدع السماء من قصرها شيئا الا حبته مدرارا ولا تدع الأرض من نباتها شيئا الا أخرجته حتى يتمنى الاحياء الاموات .

وقد تكرر هذا المضمون في كتاب البيان للحافظ الشافعي وفي بعض مروياته ان المال في عهده يكثر الى حد لا يتنافس عليه احد ولا يرغب فيه راغب من الناس .

وفي رواية له عن حذيفة بن اليمان ان رسول الله(ص)قال: لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لبعث الله رجلا اسمه اسمي وخلقه خلقي يبايع له الناس بين الركن والمقام يرد الله به الدين ولا يبقى على وجه الأرض الا من يقول لا إله إلا الله ، فقام اليه سليمان الفارسي وقال له : يا رسول الله من أي ولدك هو؟ فقال : من ولد ابني هذا ، وضرب بيده على كتف الحسين .

وفي رواية اخرى تنتهي بسندها الى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله (ص) قال : ان علي بن ابي طالب امام امتي وخليفتي عليها من بعدي ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الله به الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلماً وجوراً ، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً ان الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الاحمر ، فقام اليه جابر بن عبد الله الانصاري وقال : يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة ، قال : اي وربي وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، يا جابر ان هذا الامر سر من سر الله مطوي عن عباد الله فاياك والشك فيه فان الشك في امر الله كفر .

الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي بشرت بمهدي اهل البيت الامام الثاني عشر ، والتي رواها صاحب البيان في كتابه وغيره من السنّة

والشيعة عن النبي بأسانيد ينتهي اكثرها الى ثقات الصحابة ورووها من بعده الى الاجيال فدونها محدثو السنة والشيعة في صحاحهم ومجاميع كتب الحديث ، وعلى حساب تلك المرويات المنتشرة بين محدثي السنّة القدامى الذين دونوا الحديث في عصور التدوين الاولى والمروية عن الصحابة على اختلاف ميولهم كانت فكرة المهدي من اهل البيت المنقذ للبشرية مما تعانيه من عسف وجور واسعة الانتشار الى ابعد الحدود بين محدثي السنة وعلمائهم وجميع اصنافهم وفئاتهم وعقيدة اسلامية للكثير من علمائهم ومحدثيهم غير ان العداء التقليدي والخلافات المذهبية بينهم وبين الشيعة فرضا عليهم ان يتصرفوا في تلك الاحاديث بما يتفق مع معتقداتهم او اهوائهم كما تصرفوا في غيرها .

وكما نص عليه النبي (ص) في عشرات المناسبات فقد تواترت النصوص عليه من الأئمة (ع) واحدا بعد واحد وخلال الشهور الاخيرة من حياة ابيه نص على امامته اكثر من مرة بحضور ثقات اصحابه وخواصهم وأراهم اياه بشخصه ، في حين انه كان يخفيه حتى عن اكثر شيعته خوفا عليه من الحاكمين ، وشاع بين عامة الناس ان الحسن بن علي لم يترك من الولد احدا ، ولعل جعفر ابن الإمام علي الهادي (ع) كان ممن يعلمون بولادة المهدي ووجوده ولكنه كان مغتبطا بتلك الشائعة ويساهم في انتشارها ليبرز من خلالها كوريث لأخيه في الاوساط الشيعية التي كانت تدين بإمامته وتجبي اليه اخماس اموالها ، وقد هيأ نفسه لذلك منذ وفاة اخيه فوقف على باب داره والإمام لا يزال مسجى فيها يتلقى التعزية بوفاته من عامة الناس والتهنئة بالامامة من الحاكمين وأتباعهم الذين كانوا يعدونه لذلك ويعملون لتشتيت امر الشيعة وتمزيق وحدتهم وحينما قدموه للصلاة عليه وخرج الإمام المهدي (ع) وجذبه بردائه وهو يقول : تنح يا عم فأنا أحق منك بالصلاة على ابي دهش الناس لهذه المفاجأة وتأخر جعفر وقد اربد وجهه وعلته صفرة تنم عن الخيبة والفشل ، وكان من المتعين على الإمام الشرعي ان يقف هذا الموقف الحكيم في تلك الفترة التي اتجهت فيها الانظار الى عمه الخليع المعروف

بالفسق وشرب الخمور ليحبط جميع التدابير التي اتخذها هو والسلطة الحاكمة لترشيحه لامامة الشيعة مكان اخيه الراحل بحجة انه لم يترك وريثا غيره .

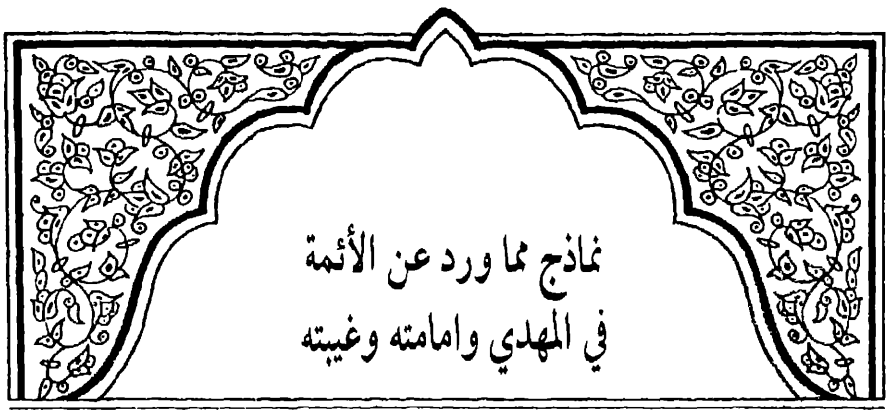

نماذج مما ورد عن الأئمة في المهدي وامامته وغيبته

لقد احصى الرواة عشرات الاحاديث عن الأئمة حول امامة المهدي وغيبته وظهوره ودونها المحدثون في مجاميعهم وخوفا من التطويل الممل نقتصر على بعض النماذج منها عن كل امام من الأئمة الاحد عشر .

فقد روى الصدوق في الاكمال وغيره عن جماعة من ثقات محدثي الشيعة بسند ينتهي الى الأصبغ بن نباتة انه قال : اتيت امير المؤمنين (ع) فوجدته متفكرا ينكث الأرض ، فقلت مالي اراك متفكرا يا امير المؤمنين تنكث في الأرض أرغبت فيها ؟ فقال : لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوما قط ولكني فكرت في مولود من نسلي يكون الحادي عشر من ولدي هو المهدي يملؤها عدلا كما ملئت جورا وظلما تكون له حيرة وغيبة تضل فيها اقوام ويهتدي بها آخرون ، فقلت : يا امير المؤمنين وان هذا لكائن ؟ فقال : نعم كما انه مخلوق واني لكم بالعلم بهذا يا اصبغ اولئك خيار هذه الأمة مع ابزار هذه العترة ، قلت فما يكون بعد ذلك ؟ فقال : يفعل الله ما يشاء .

وروى بسنده الى الحسين بن خالد عن الإمام علي الرضا عن ابيه موسى ابن جعفر عن ابيه جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب انه قال : التاسع من

ولدك يا حسين هو القائم بالحق والمظهر للدين والباسط للعدل ، قال ابو عبد الله الحسين (ع) : يا امير المؤمنين وان ذلك لكائن ؟ فقال (ع) : اي والذي بعث محمدا بالنبوة واصطفاه على جميع البرية ولكن بعد غيبة وحيرة لا يثبت فيها على دينه الا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين اخذ ميثاقهم بولايتنا وكتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه .

كما روي بسند ينتهي الى الإمام الباقر (ع) انه سمع جابر بن عبد الله الانصاري يقول : دخلت على فاطمة الزهراء (ع) وبين يديها لوح فيه اسماء الأوصياء فعددت اثني عشر اسماً آخرهم القائم ثلاثة منهم محمد وأربعة منهم علي صلوات الله عليهم اجمعين .

كما روي بسند ينتهي الى الحسن بن علي (ع) انه قال لجماعة من شيعته دخلوا عليه ولامه بعضهم على تسليم السلطة لمعاوية بن ابي سفيان : ما منا احد الا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه الا القائم محمد بن علي الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم خلفه فان الله يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلا يكون في عنقه بيعة وهو التاسع من ولد اخي الحسين يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون الاربعين والله على كل شيء قدير .

وروي بسند ينتهي الى الحسين بن علي (ع) انه قال : في التاسع من ولدي سنة من يوسف وسنة من موسى وهو قائمنا اهل البيت ، وفي رواية ثانية تنتهي الى رجل من همدان ان الحسين (ع) قال : ان التاسع من ولدي هو قائم هذه الأمة وصاحب الغيبة الذي يقسم ميراثه وهو حي ولو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلا وقسطا كما ملئت ظلماً وجوراً .

وروي بسند ينتهي الى سعيد بن جبير ان علي بن الحسين (ع) كان يقول : القائم منا تخفى على الناس ولادته حتى يقولوا : لم يولد بعد ليخرج

حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة ، وفي رواية ثانية عنه قال : ان للقائم منا غيبتين الثانية منهما يطول امدها حتى يرجع عن هذا الأمر اكثر من يقول به ، ولا يثبت عليه الا من قوي يقينه وصحت معرفته ولم يجد في نفسه حرجا مما قضى الله علينا .

وروي عن ابي جعفر الباقر ان عبد الله بن عطا قال له : ان شيعتك بالعراق كثيرة فوالله ما في اهل بيتك مثلك فكيف لا تخرج ؟ فقال : يا عبد الله قد امكنت الحشو من اذنيك ، والله ما انا بصاحبكم ، قلت : فمن صاحبنا ؟ قال : انظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم .

وفي رواية ثانية رواها عنه محمد بن مسلم الثقفي جاء فيها انه قال : دخلت على ابي جعفر الباقر (ع) وانا اريد ان اسأله عن القائم من آل محمد ، فقال لي مبتدئاً : يا محمد بن مسلم ان في القائم من آل بيت محمد (ع) سنة من خمسة من الرسل يونس بن متى ويوسف بن يعقوب وموسى وعيسى ومحمد (ص) الى ان قال : وان من علامات خروجه خروج السفياني من الشام وخروج اليماني وصيحة من السماء في شهر رمضان ومناد ينادي من السماء باسمه واسم ابيه .

كما روى عنه محمد بن مسلم ايضا انه قال سمعت ابا جعفر (ع) يقول : القائم منا منصور بالرعب مؤيد بالنصر تطوى له الأرض وتظهر له الكنوز ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب ، ويظهر الله عز وجل به دينه على الدين كله ولو كره المشركون ، وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه ، قال : قلت يا ابن رسول الله متى يخرج قائمكم ؟ قال : اذا شبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وركب ذوات الفروج بالسروج وقبلت شهادة الزور وردت شهادة العدول واستخف الناس بالدماء وارتكاب الزنا وأكل الربا ، واتقي الاشرار مخافة السنتهم .

وروي عن صفوان بن مهران ان الإمام الصادق (ع) قال : من اقر

بجميع الأئمة وجحد المهدي كان كمن اقر بجميع الأنبياء وجحد محمد بن عبد الله (ص) فقيل له : يا ابن رسول الله فمن المهدي من ولدك ؟ قال : الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحل لكم تسميته .

وفي رواية ثانية عنه قال : اذا اجتمع ثلاثة اسام متوالية محمد وعلي والحسن فالرابع هو القائم .

وجاء عن السيد بن محمد الحميري في حديث طويل جاء فيه : قلت للصادق جعفر بن محمد (ع) : يا ابن رسول الله قد روى لنا الرواة عن آبائك (ع) في الغيبة وصحة كونها فاخبرني بمن تقع ، فقال (ع) : ان الغيبة تقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله اولهم امير المؤمنين وآخرهم القائم بالحق بقية الله في الأرض وصاحب الزمان ، والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلماً .

وروى محمد بن عمير بسنده الى ابي بصير ان الإمام الصادق (ع) كان يقول : يكون بعد الحسين بن علي تسعة ائمة تاسعهم قائمهم .

وروى الصدوق وغيره عن علي بن جعفر ان اخاه موسى بن جعفر قال : اذا فقد الخامس من ولدي فالله الله في اديانكم انه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به انما هي محنة من الله عز وجل امتحن بها خلقه ، وروى عنه يونس بن عبد الرحمن انه قال : القائم الذي يطهر الأرض من اعداء الله يملؤها عدلا كما ملئت جورا وظلما هو الخامس من ولدي له غيبة يطول امدها خوفا على نفسه يرتد فيها اقوام ويثبت فيها آخرون ، ثم قال : طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا الثابتين على موالاتنا والبراءة من اعدائنا اولئك منا ونحن منهم فقد رضوا بنا ائمة ورضينا بهم شيعة فطوبى لهم ثم طوبى لهم هم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة .

وروي عن الحسين بن خالد انه قال : قال الإمام الرضا (ع) لا دين لمن لا ورع له ولا ايمان لمن لا تقية له وان اكرمكم عند الله أعملكم بالتقية ، فقيل له : يا ابن رسول الله الى متى ؟ قال : الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا ، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا ، فقيل له : يا ابن رسول الله ومن القائم منكم اهل البيت ؟ قال : الرابع من ولدي ابن سيدة الاماء يطهر الله به الأرض من كل جور ويقدسها من كل ظلم ، وهو الذي يشك الناس في ولادته وصاحب الغيبة قبل خروجه ، فاذا خرج اشرقت الارض بنوره ووضع ميزان العدل بين الناس فلا يظلم احد احدا .

وروي عن عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) انه قال : دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر اريد ان اسأله عن القائم ما هو المهدي أو غيره ؟ فابتدأني وقال : يا ابا القاسم ان القائم منا هو المهدي الذي يجب ان ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره وهو الثالث من ولدي ، والذي بعث محمدا (ص) بالنبوة وخصنا بالامامة لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ، وان الله ليصلح له امره في ليلة كما اصلح امر كليمه موسى اذ ذهب يقتبس نارا فرجع وهو رسول نبي وان افضل اعمال شيعتنا انتظار الفرج .

وروي عن داود بن القاسم الجعفري انه قال : سمعت ابا الحسن صاحب العسكري (ع) يقول : الخلف من بعدي ابني الحسن فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف لانكم لا ترون شخصه ، فقلت : فكيف نذكره ، قال : قولوا الحجة من آل محمد (ص) .

وروى علي بن مهزيار عن علي بن محمد بن زياد انه قال : كتبت الى ابي الحسن صاحب العسكر (ع) اسأله عن الفرج فكتب الي : اذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقعوا الفرج ، وفي رواية عنه ايضا انه قال :

الإمام بعدي الحسن ابني وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما .

وروى احمد بن اسحاق بن سعد الاشعري انه دخل على ابي محمد الحسن بن علي وسأله عن الخلف من بعده ، فقال له الإمام : يا احمد ان الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق الله آدم ولا يخليها الى ان تقوم الساعة من حجة لله على خلقه به يدفع البلاء عن اهل الأرض وبه ينزل الغيث وبه يخرج بركات الأرض ، فقلت : يا ابن رسول الله فمن الامام والخليفة من بعدك ؟ فنهض مسرعا فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر من ابناء ثلاث سنين ، وقال : يا احمد بن اسحاق : لولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا انه سمي رسول الله وكنيه الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً ، يا احمد بن اسحاق ان مثله في هذه الأمة مثل الخضر ومثله مثل ذي القرنين ، والله ليغيبن غيبة لا ينجو من الهلكة فيها الا من ثبته الله عز وجل على القول بإمامته ووفقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه وسيرجع عن هذا الأمر اكثر القائلين به ولا يبقى الا من اخذ الله عهده لولايتنا وكتب في قلبه الايمان وأيده بروح منه ، ومضى يقول : يا احمد هذا امر من امر الله وسر من سر الله وغيب من غيب الله فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين[1] .

ونكتفي بهذه النماذج من مئات الروايات المنسوبة الى الأئمة (ع) التي تصف الإمام الثاني عشر مهدي هذه الأمة محمد بن الحسن وزمانه وغيبته وما سيقوم به بعد ظهوره ، واذا لم يكن جلها من النوع الصحيح فمما لا شك فيه بأن عددا كبيرا منها تطمئن له النفس لأن رواته من المعروفين بالوثاقة والاستقامة ، لا سيما وانها تتفق في مضامينها مع ما اخبر به من لا ينطق عن الهوى الرسول الأعظم (ع) والأئمة الهداة من بنيه .

---

(١) انظر المجلد الأول من اصول الكافي والاكمال للصدوق والغيبة للطوسي وغيرها من مجاميع الحديث .

موقف جعفر بن علي من ابن أخيه المهدي

لم يكن الإمام علي الهادي منشرحا لولادة ولده جعفر ولا متفائلا بحسن مصيره ، ولما سئل عن اسباب ذلك قال لامرأة كانت تراقب نظراته وحركاته ، كما جاء في رواية كشف الغمة للاربلي : هوني عليك وسيضل به خلق كثير .

وتؤكد الروايات الكثيرة انه لما شب وترعرع انحرف عن اخلاق الإسلام وتعاليمه وعن الخط الرسالي الذي كان آباؤه (ع) قد وضعوه بين ايدي المسلمين لاتمام الحجة عليهم وانقاذهم مما كانوا يعانون من شدة وبلاء ، واختار لنفسه منادمة الحكام وأجهزتهم والتلهي بالخمور والمنكرات حتى اضطر والده (ع) ان يقول لبعض اصحابه : تجنبوا ولدي جعفر فانه مني بمنزلة ابن نوح الذي قال الله فيه : ﴿ **يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح** ﴾ كما جاء في المجلد الثاني من تاريخ سامراء .

ولما سئل عنه احمد بن عبيد الله بن خاقان وزير المعتمد العباسي وكان يتحدث عن اخيه أبي محمد الحسن العسكري ، قال : ومن هو جعفر فيسأل عن خبره او يقرن به ، ومضى يقول احمد ابن الوزير: ولما دفن اخوه الحسن العسكري جاء الى ابي وقال له : اجعل لي مرتبة ابي وأخي وأوصل لك في كل سنة عشرين الف دينار فزبره ابي وأسمعه ما كره ، وقال له : يا احمق ان السلطان اعزه الله جرد سيفه وسوطه في الذين زعموا ان اباك وأخاك ائمة

ليردهم عن ذلك فلم يقدر عليه وجهد ان يزيل اباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهيأ له ذلك ، فان كنت عند شيعة ابيك وأخيك اماماً فلا حاجة بك الى سلطان يرتبك مراتبهما ولا غير سلطان وان لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها .

وقال ابو الاديان خادم الإمام الحسن العسكري الذي كان يتولى نقل كتبه ورسائله الى الشيعة في مختلف المناطق ، وكان قد ارسله الى المدائن وحمله رسائل الى وجوه شيعته فيها ، ولما رجع وجد الإمام قد توفي وأخاه جعفر واقفا بباب الدار يستقبل المعزين والمهنئين له بالإمامة بعد اخيه ، فقال كما جاء في الرواية عنه : ان يكن هذا هو الإمام بعد الحسن بن علي فقد بطلت الإمامة وكان يعرفه بتعاطي المنكرات والاستهتار بأحكام الله .

وقد ذكرنا ان السلطة كانت جادة في مساندته واحلاله محل اخيه وقد قدمته للصلاة عليه لهذه الغاية ولما وقف على الجنازة فوجيء الناس بصبي لم يتجاوز السادسة من عمره يخرج من الدار ويأخذ برداء عمه الى الوراء وهو يقول : تأخر فأنا احق منك بالصلاة على ابي فيتأخر جعفر بدون ان تبدر منه اية معارضة ويربد وجهه وتعلوه صفرة تنم عن الخيبة والفشل ، ومع تلك الصدمة العنيفة التي اصيب بها بظهور الوريث الشرعي لاخيه الذي كان يجهله عامة الناس وتنحيته عن الصلاة عليه بحضور تلك الحشود المجتمعة لتشييع الجثمان الطاهر الى مقره الاخير ، فقد بقي في نفسه شيء من الامل ان يتم له الاستيلاء على مركز اخيه ولو بواسطة السلطة الحاكمة وأجهزتها التي كانت تعمل لصالحه وتوجه الوافدين وجباة الاخماس اليه ، ولكن جهوده وجهود الحاكمين وأجهزتهم تعثرت وباءت بالفشل ذلك لأن وكلاء الأئمة وخاصتهم وحتى عامة الشيعة يعرفون ان الذين اختارهم الله للامامة وقيادة الأمة قد حباهم الله بما يتعسر على غيرهم من الناس ، وقد ادعاها قبله اناس بدافع الانانية وحب الشهرة وبتحريض الحاكمين ومساندتهم ولكنهم سرعان ما انكشفوا على واقعهم وارتدوا على اعقابهم خاسرين ، ولم يكن جعفر بن علي

بأوفر حظا من اولئك الادعياء لا سيما وهو بالاضافة الى جهله معروف بالاستهتار بالدين وممارسة المنكرات ، ورجع شيعة آبائه الى الإمام الشرعي بعد ان اظهر لهم من دلائل الإمامة ما كان يظهره أبوه وأجداده من قبله .

وجاء في رواية ابي الاديان الذي كان يحمل كتبه ورسائله الى الشيعة في الامصار ويرجع بأجوبتها الى الإمام ابي محمد العسكري ، انه لما دفن الإمام قال لي ولده القائم : يا بصري هات اجوبة الكتب التي معك فدفعتها اليه وقلت في نفسي هذه بينتان الصلاة على ابيه وعلمه بما احمله من اجوبة الكتب ولم يكن قد علم بذلك احد من الناس ، ثم خرجت الى جعفر بن علي وجلست عنده وبينما نحن جلوس واذا بنفر من قم يقصدون الإمام ابا محمد ولم يكونوا قد عرفوا بوفاته الا بعد دخولهم سامراء ، فقالوا : فمن نعزي ؟ فأشار الناس الى اخيه جعفر ، فدخلوا عليه وعزوه بأخيه وهنوه بالامامة ، ثم قالوا له : ان معنا كتبا وأموالاً فاذا اخبرتنا ممن الكتب وعن مبلغ المال دفعناها اليك ، فقام ينفض ثيابه وهو يقول : تريدون منا ان نعلم الغيب ، فلم يدفعوا اليه شيئا .

وفيما هم في حيرة من امرهم واذا بالخادم يخرج من دار الإمام فقال لهم : معكم كتب فلان وفلان وهميان فيه الف دينار عشرة دنانير منها مطلية فدفعوا اليه الكتب والاموال وقالوا ان الذي اخبرك بذلك هو الإمام بعد ابي محمد ، فاغتاظ جعفر بن علي من ذلك ودخل على المعتمد العباسي وقص عليه ما جرى للقميين ، فوجه معه المعتمد اجهزته فقبضوا على صيقل ام المهدي وطالبوها به فأنكرته فسلموها الى ابن ابي الشوارب القاضي ، ثم تشاغلوا عنها كما يدعي الراوي بموت عبيد الله بن خاقان فجأة وخروج صاحب الزنج في البصرة وخرجت من بين ايديهم .

وجاء في رواية ثانية رواها الصدوق في الاكمال بسنده الى ابي الحسن ابن علي بن سنان عن ابيه انه قال : لما قبض ابو محمد الحسن العسكري وقدم بالاموال وفود من قم والجبال ، ولم يكن عندهم علم بوفاة الحسن (ع) فلما

قدموا سامراء وعلموا بوفاته سألوا عن وارثه قيل لهم اخوه جعفر بن علي وكان قد خرج متنزهاً في دجلة مع المغنين والغلمان فلما رجع دخلوا عليه وقالوا : يا سيدنا نحن من قم وجهاتها وكنا نحمل الى سيدنا ابي محمد الأموال فخبرنا عن مقدارها ومن اين جمعت ، فقال لهم جعفر: كذبتم تقولون على اخي ما لا يفعله وهذا من علم الغيب الذي لا يعلمه غير الله ، فلما سمع القوم كلامه جعل بعضهم ينظر الى بعض ، ثم قال لهم : ادفعوا المال ، فقالوا : انا قوم مستأجرون وانا لا نسلم المال الا بالعلامات التي كنا نعرفها من اخيك ، فان كنت اماما فبرهن لنا والا رددنا الاموال لاصحابها ، فقام جعفر ودخل على الخليفة واستعداه عليهم فأمرهم بدفع الأموال الى جعفر ، فقالوا : انا قوم مستأجرون وقد امرنا ان لا ندفع المال الا بعلامة ودلالة كما جرت العادة مع اخيه وكان يصف لنا الدنانير وأصحابها ومقدارها ، فان يكن هذا صاحب الأمر من بعده فليقم لنا ما كان يقيمه اخوه وإلا رددنا المال لاصحابه .

ثم انهم خرجوا من سامراء وفيما هم خارج البلدة واذا بشاب قد لحق بهم وقال : يا فلان ويا فلان اجيبوا مولاكم ، فرجعوا ودخلوا على الامام (ع) فأخبرهم بالمال ومقداره ومن ارسله فدفعوا اليه المال ، ثم اوصاهم بأن لا يحملوا الى سامراء بعد ذلك شيئاً وأن يرسلوا الاموال والكتب الى نوابه في بغداد ، وأضاف الراوي الى ذلك ان جعفر بن علي حمل الى الخليفة مبلغا كبيرا من المال وطلب منه ان يجعل له منزلة اخيه ، فقال له : ان منزلة اخيك لم تكن بنا وكنا نجهد في حط منزلته ويأبى الله الا ان يزيده رفعة لما كان فيه من حسن السمت والعلم والعبادة فان كنت عند شيعته بمنزلته فلا حاجة بك الينا وان لم تكن كذلك فلا نغني عنك شيئاً .

وسواء صحت هذه المرويات ام لم تصح فمما لا شك فيه أن الحاكمين واجهزتهم قد بذلواقصى ما لديهم من جهد لارجاع الشيعة الى جعفر بن علي لأنه كان من اعوانهم ويجلس على موائدهم مع المغنين والمغنيات ، وساعدتهم الظروف الغامضة التي كانت تحيط بالامام المهدي (ع) واختفائه عن الناس

على الدعوة لعمه جعفر بحجة انه الوريث الوحيد لأبيه وأخيه ، في حين ان جعفر بن علي لم يكن يجهل وجود الإمام وحتى ان الحاكمين كانوا يعرفون ذلك ، ولكن الله سبحانه كان لهم بالمرصاد فأحبط جميع مخططاتهم ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا شيئاً ، ورجع اليه شيعة آبائه وظلوا على اتصال به خلال الغيبة الصغرى بواسطة سفرائه ووكلائه كما تؤكد ذلك عشرات المرويات .

ولجعفر بن علي الهادي ولدان احدهما يدعى محسن بن جعفر ، قتله جماعة من الاعراب في بعض المقاطعات التابعة لدمشق ، وادعى قاتله بأنه خرج على السلطان ، فحمل رأسه الى بغداد وصلب على الجسر فيها كما جاء في الكنى والالقاب للقمي .

والثاني يدعى عيسى وكان عالما فاضلا كما يصفه القمي وقد سمع الحديث منه هارون من موسى التلعكبري واستجازه فأجازه وله الأبيات التالية :

يا بني احمد انا ديكم اليوم ... وأنتم غدا لرد جوابي
الف باب اعطيتم ثم افضى ... كل باب منها الى الف باب
لكم الأمر كله وإليكم ... ولديكم يؤول فصل الخطاب

السفراء الأربعة في الغيبة الصغرى

لقد تحدث الرواة عن غيبة الإمام محمد بن الحسن العسكري (ع) وأسبابها ورووا عن الإمام الصادق وأبي الحسن موسى بن جعفر (ع) ان الله سبحانه قد اخفى ولادته وغيبه عن الناس لئلا يكون في عنقه بيعة الى احد، كما رووا عن ابي جعفر الباقر (ع) انه غاب خوفا من بني العباس، وجاء في رواية عبد الله بن الفضل الهاشمي: ان الإمام الصادق (ع) قال في جواب من سأله عن الحكمة في غيبته: ان هذا الأمر لا ينكشف الا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما اتاه الخضر الا بعد ان افترق عن موسى، ومضى الإمام يقول كما جاء في الرواية: ان هذا امر من امر الله وسر من اسراره وغيب من غيبه ومتى علمنا انه حكيم صدقنا بأن افعاله كلها لحكمة تقتضيها وان كان وجهها غير منكشف لنا، وفي رأيي ان الحديث عن اسباب غيبته من الغيبيات التي يعود امرها الى الله وحده كما جاء في رواية عبد الله بن الفضل عن الإمام الصادق (ع) وما علينا الا التسليم والالتزام بما اقتضته مشيئته، والتشكيك في حياته وظهوره عندما يأذن الله له بذلك على حد التشكيك بنبوة الأنبياء وإمامة آبائه الكرام.

ومنذ ان انتقلت الإمامة اليه بعد وفاة ابيه لم يكن من الميسور لأي كان من الناس ان يتصل به ويجتمع اليه خلال سبعين عاما تقريبا الا من خلال

سفرائه الاربعة : عثمان بن سعيد العمري ، ومحمد بن عثمان العمري ، والحسين بن روح النوبختي ، وعلي بن محمد السمري الذين كانوا حلقة الاتصال بينه وبين شيعته في مختلف الاقطار بواسطة الرسائل التي يحملونها اليه ويأخذون منه اجوبتها لاهلها ، كما فوضهم بقبض الاخماس التي كانت تجبى اليه والتصرف بها حسبما تقتضيه المصلحة ، وقد تولى له السفارة خلال السنين الأولى من امامته عثمان بن سعيد المعروف بالسمان ، لأنه كما يقول الرواة كان يتجر بالسمن ويتجول في تجارته في الأوساط الشيعية حتى لا يظهر امره للحاكمين ، فاذا دفع إليه احد الشيعة مبلغا من المال وضعه في زقاق السمن وأخفاه عن الناس ، وتولى السفارة لثلاثة من الأئمة (ع) الهادي والحسن العسكري ومحمد بن الحسن القائم المنتظر .

وجاء في رواية احمد بن اسحاق بن سعد القمي انه قال : دخلت على ابي الحسن علي بن محمد (ع) في يوم من الأيام وقلت له : يا سيدي انا اغيب وأشهد ولا يتهيأ لي الوصول اليك اذا شهدت في كل وقت فقول من نقبل وأمر من نتمثل ؟ فقال لي : هذا ابو عمرو الثقة الامين ما قاله لكم فعني يقوله وما اداه لكم فعني يؤديه ، ومضى الراوي في حديثه يقول : فلما مضى ابو الحسن صرت الى ابنه ابي محمد الحسن العسكري ذات يوم فقلت له مثل قولي لأبيه من قبل ، فقال لي : هذا ابو عمرو الثقة الامين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات فما قال لكم فعني يقوله وما ادى اليكم فعني يؤديه .

وفي رواية ثانية رواها الشيخ الطوسي في الغيبة عن جماعة من الشيعة منهم علي بن بلال وأحمد بن هلال ومحمد بن معاوية بن حكيم والحسن بن ايوب بن نوح انهم قالوا : اجتمعنا الى ابي محمد الحسن بن علي (ع) نسأله عن الحجة من بعده وفي مجلسه اربعون رجلا فقام اليه عثمان بن سعيد وقال له : يا ابن رسول الله اريد ان اسألك عن امر أنت اعلم به مني ، فقال له : اجلس يا عثمان ، فقام مغضباً ليخرج فامرنا الإمام بالجلوس الى ان كان بعد ساعة صاح الإمام بعثمان بن سعيد فقام على قدميه ، فقال الإمام (ع) :

اخبركم بما جئتم له ، قالوا : نعم يا ابن رسول الله ، قال : جئتم تسألوني عن الحجة بعدي ، قالوا : نعم ، ثم خرج لنا غلام كأنه قمر اشبه الناس بأبي محمد فقال : هذا امامكم من بعدي وخليفتي عليكم اطيعوه ولا تتفرقوا فتهلكوا في اديانكم ، الا وانكم لا ترونه من بعد يومكم هذا فاقبلوا من عثمان بن سعيد ما يقولوه وانتهوا لأمره واقبلوا قوله فهو خليفة امامكم والأمر اليه .

وجاء في رواية اخرى انه قال : وان ابنه محمدا وكيل ابني مهديكم وبقي ابو عمرو عثمان بن سعيد قائما بأعباء سفارته للمهدي (ع) بعد وفاة ابيه مدة من الزمن لم يحدد الرواة مقدارها الى ان وافاه اجله فعهد من بعده الى ولده ابي جعفر محمد بن عثمان العمري بأمر من الحجة محمد بن الحسن عليه السلام .

وجاء في رواية محمد بن ابراهيم بن مهزيار الاهوازي بعد وفاة ابي عمرو العمري انه خرج توقيع جاء فيه ان ابنه لم يزل ثقتنا رضي الله عنه وأرضاه ونضر وجهه يجري عندنا مجراه ويسد مسده وعن امرنا يأمر وبه يعمل تولاه الله فانته الى قوله وعرف شيعتنا ذلك .

وقد عزاه الحجة بأبيه حين وفاته وجاء في تعزيته له كما في رواية محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري : انا لله وانا اليه راجعون تسليما لامره ورضا بقضائه عاش ابوك سعيدا ومات حميدا فرحمه الله وألحقه بأوليائه وموالية (ع) فلم يزل مجتهدا في امرهم ساعيا فيما يقربه الى الله عز وجل واليهم نضر الله وجهه وأقاله عثرته وأجزل لك الثواب وأحسن لك العزاء رزيت به ورزينا وأوحشك فراقه وأوحشنا فسره الله في منقلبه ، لقد كان من كمال سعادته ان رزقه الله ولدا مثلك يخلفه من بعده ويقوم مقامه بأمره ويترحم عليه ، ان الانفس طيبة بمكانك وما جعله الله عز وجل فيك وعندك اعانك الله وقواك وعضدك ووفقك وكان لك وليا وحافظا وراعيا وكافيا .

وكانت كتب المهدي (ع) تخرج على يده الى الشيعة في امور دينهم وكل ما يهمهم بنفس الخط الذي كانت تخرج في حياة ابيه عثمان بن سعيد لا يعرف الشيعة واسطة بينهم وبين الامام غيره ، ويجد المتتبع في أبواب الفقه هنا وهناك بعض الآراء للمهدي (ع) كان يجيب فيها على اسئلة الشيعة بواسطة سفيره ابي جعفر العمري وغيره من السفراء ولعل اكثر ما يوجد منها كان بواسطته لأنه كان اطولهم مدة في هذه المهمة ، حيث بقي فيها الى سنة خمس وثلاثمائة كما تؤكد ذلك اكثر المرويات ، ولعل سفارته للإمام المهدي قد استمرت اربعين عاما اي من سنة خمس وستين بعد سفارة ابيه التي استمرت خمس سنوات لا غير .

وكان قبل وفاته قد حفر قبرا لنفسه ونقش عليه بعض الآيات من القرآن وأسماء الأئمة (ع) وينزل اليه في كل يوم يقرأ فيه جزءاً من القرآن ، وقبره يعرف في بغداد بقبر الخلاني .

وأوصى قبل وفاته الى ابي القاسم الحسين بن روح بأمر المهدي (ع) وكان يرشد الشيعة خلال الايام الاخيرة من حياته اليه ، فقد حدث جعفر بن محمد المدائني عنه وكان على ما يبدو ممن يحملون الاخماس الى الإمام (ع) ويدفعها الى ابي جعفر العمري كما كان الحال بالنسبة الى غيره من الجباة ، وخلال الايام الاخيرة جاءه كما تنص الرواية بأربعمائة دينار فأمره بدفعها الى الحسين بن روح ، وبعد حوار طويل بين الطرفين وأخذ ورد بقي مصرا على عدم قبضها منه وقال له وهو مغضب : قم عافاك الله فقد اقمت الحسين بن روح مقامي ووليته منصبي ولما ايقن الراوي ان ذلك منه كان بأمر الإمام دفعها اليه .

وجاء في رواية الشيخ الطوسي انه لما اشتدت حال ابي جعفر رحمه الله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة فدخلوا عليه وقالوا : ان حدث امر فمن يكون مكانك ؟ فقال لهم : هذا ابو القاسم الحسين بن روح بن ابي بحر النوبختي

القائم مقامي والسفير بينكم وبين الامام والوكيل الثقة الامين فارجعوا اليه في امور دينكم وعولوا عليه في مهماتكم فبذلك امرت وقد بلغت .

ويصفه الرواة بأنه كان حكيما في تصرفاته معظما عند العامة والخاصة وبلغ من حسن تصرفه وحكمته ان العامة لم يصدقوا من كان ينسبه الى الرفض ، وحدث ان تنازع اثنان فقال احدهما ان ابا بكر افضل الناس بعد رسول الله وبعده عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ويأتي علي بن ابي طالب من بعده ، وقال الثاني : ان عليا افضل الخلق بعد رسول الله ، واشتد النزاع بينهما في مجلسه وفيه حشود من السنّة والشيعة فحسم النزاع بالاسلوب الحكيم الذي اعتاد عليه خوفا على نفسه وعلى الإمام (ع) من الحاكمين وقال : الذي اجمعت عليه الصحابة هو تقديم الصديق وبعده الفاروق وبعده عثمان ، ثم علي الوصي وأصحاب الحديث على ذلك وهو الصحيح عندنا ، فتعجب الحاضرون من قوله ورفعه العامة على رؤوسهم وطعنوا على من يرميه بالرفض . وبلغه ان بوابا على بابه قد لعن معاوية وشتمه فأمر بطرده وصرفه من خدمته ولم يقبل شفاعة احد فيه .

وعاش الحسين بن روح قرابة عشرين عاما او تزيد بعد ان تولى السفارة بين الامام المهدي (ع) وعشرات الملايين من الشيعة الذين كانوا يراجعونه في امورهم ومشاكلهم وهو يتصل بالامام ويرجع عليهم بأجوبة مسائلهم بخط الإمام وتوقيعه ، وكانت وفاته سنة ٣٢٦ في بغداد وقبره لا يزال معروفاً ومقصوداً للزائرين ، وقبيل وفاته عهد الى علي بن محمد السمري بأمر من الإمام (ع) فقام بالمهمة التي كان اسلافه يقومون بها ، ولم تطل مدته في السفارة اكثر من ثلاث سنوات ختمت بها الغيبة الصغرى التي كان الاتصال فيها بالإمام المهدي ميسورا بواسطة سفرائه الاربعة .

ويدعي الرواة ان السيمري قبل وفاته بأيام اخرج الى الناس توقيعا من الحجة جاء فيه : يا علي بن محمد اعظم اجر اخوانك فيك انك ميت ما بينك

وبين ستة ايام فاجمع امرك ولا توص الى احد يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور الا بعد ان يأذن الله تعالى ، وذلك بعد طول المدة وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة فمن ادعاها فهو كذاب مغتر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وأضاف الى ذلك الراوي انه بعد ستة ايام دخلنا عليه فوجدناه يجود بنفسه فقلنا له : من وصيك بعدك ، فقال : لله امر هو بالغه ، وكانت وفاته سنة ٣٢٩ وللإمام يوم ذاك من العمر اربع وسبعون عاما قضى منها مع ابيه اربع سنوات ونصف ، وتسعة وستين عاما ونصف العام في غيبته الاولى المسماة بالصغرى ، ويدعي المسعودي في اثبات الوصية ان عمره الشريف كان بنهاية الغيبة الصغرى ستا وسبعين عاما وأحد عشر شهرا ، كانت في عهد المعتمد والمعتضد والمقتدر والراضي ، ومع ان خلافة هؤلاء الأربعة من بني العباس يصفها المؤرخون بالانحلال والتفكك ولا يملك الخليفة منها الا توقيع المراسيم والشكليات ، فلقد كانوا يراقبون تحركات سفرائه ووكلائه المنتشرين في مختلف المناطق وحاولوا القبض عليه اكثر من مرة كما يبدو ذلك من بعض المرويات التي تعرضت لموقف الحاكمين منه .

المدعون للسفارة عن الإمام المهدي (ع)

لقد ادعى الرواة ان جماعة من المشعوذين قد ادعوا السفارة للإمام (ع) وراحوا يحاولون تغرير الشيعة بما اظهروه من الدجل والشعوذة طمعا في الأموال التي كانت تجبى الى الإمام بواسطة وكلائه وسفرائه الاربعة، وبدوافع اخرى لعل اصابع الحكام غير بريئة منها، وقد خرجت رسائل من الامام (ع) بتحذير الشيعة منهم ولعنهم فلعنهم الشيعة وتبرأوا منهم وما زالت اللعنات تنهال عليهم وعلى غيرهم ممن نصبوا العداء لاهل البيت وجحدوا فضلهم ودسوا في احاديثهم وقالوا فيهم ما لم يقولوه في انفسهم ولم يراعوا وصية رسول الله فيهم الى يوم الدين.

ويبدو من المرويات التي تعرضت لهذا النوع من الادعياء ان المدعين للسفارة زوراً وافتراء قد بدأت طلائعهم تظهر في عهد السفير الثاني محمد بن عثمان العمري الذي استمرت سفارته اكثر من عشرين عاما، وادعاها في عهده الحسين ابو محمد الشريعي، ومحمد بن نصير النميري وأحمد بن هلال الكرخي، وأبو طاهر محمد بن بلال البلالي وابن اخي العمري محمد بن احمد بن عثمان المعروف بالبغدادي واسحاق الاحمر، وكان بعض هؤلاء على ما يبدو من بعض الروايات من المعروفين بالاستقامة في بداية امرهم ورافقوا الامامين الهادي والعسكري ولكنهم انحرفوا بعد ذلك بما ذهبوا اليه من

المقالات التي لا تتفق مع الإسلام فضلاً عن التشيع ، كما ادعاها في عهد السفير الثالث الحسين بن روح محمد بن علي الشلمغاني العزاقري ، وقد جرفته الاهواء الى غمرة الالحاد والضلال ، ويدعي بعض الرواة والمؤرخين ان الحسين بن منصور الحلاج احد اقطاب الصوفيين قد ادعاها ايضا ، وكاد ان يستولي على عقول العامة بما اظهره من البدع والشعوذات ، ولكن ابا سهل بن اسماعيل بن علي النوبختي قد افحمه وكشف امره الى الناس في مناظرة جرت بينهما كما سنشير الى ذلك عندما نمر بالحديث عنه .

اما الشريعي احد الدعاة فقد كان من اصحاب الامامين ابي الحسن الهادي وأبي محمد العسكري ثم انحرف بعد ذلك ، وغالى بالامامين فنسب اليهما ما لا يجوز على البشر ، وادعى النيابة عنهما والرسالة لنفسه ، فخرج توقيع الإمام المهدي بلعنه والبراءة منه فلعنه الشيعة وتبرأوا منه .

وأما النميري محمد بن نصير ، فقد تعرضنا له خلال حديثنا عن الغلاة والمنحرفين في عهد الإمام العسكري (ع) وقد ظهرت دلائل الكفر والالحاد على جميع تصرفاته ومقالاته ، فكتب الإمام العسكري كتابا شديد اللهجة يندد به وبالحسن بن محمد بن بابا القمي ، وكان كما ذكرنا سابقا يقول بالتناسخ واباحة المحارم .

وجاء في رجال الكشي ان شخصا رأى غلاما على ظهره فعاتبه على ذلك ، فقال : ان ذلك من التواضع لله وترك التجبر وقد راجت مقالاته بين اناس عرفوا بعد ذلك بالنميرية ، وبعد وفاة العسكري ادعى انه سفير الإمام المهدي والواسطة بينه وبين شيعته ، وكان قبل ذلك يدعي النبوة وان علي الهادي (ع) ارسله الى الناس ، وحينما اعتل وأشرف على الموت ، قيل له : لمن الأمر من بعدك ؟ فقال بلسان ضعيف : بعدي احمد ، فلم يعرفوا من هو ، فافترق اصحابه من بعده كما جاء في غيبة الطوسي وفرق النوبختي ورجال الكشي .

ومنهم احمد بن هلال الكرخي وقد أدرك الإمام الرضا (ع) ، وسبع سنوات من غيبة الإمام الصغرى وقد لعنه الامامان العسكري والمهدي (ع) وكتب المهدي الى العراق يحذر الشيعة منه ويقول : احذروا الصوفي المتصنع لا غفر الله له ذنبه ولا اقال عثرته واني ابرأ الى الله منه وممن لا يبرأ منه .

وتنص بعض المرويات على انه كان مستقيما في بداية امره ، وبدا عليه الانحراف بعد وفاة عثمان بن سعيد فأنكر سفارة ولده ابا جعفر وامتنع عن دفع ما عنده من الأموال الى المهدي بالرغم من الأوامر التي صدرت اليه من الامام (ع) كما نص على ذلك الطوسي في غيبته .

ومنهم محمد بن بلال ، وكان من اصحاب العسكري (ع) وبعد وفاته ادعى بأنه بابه ووكيله وأنكر ما كان عنده من اموال الإمام (ع) وألح ابو جعفر العمري سفير الإمام عليه بدفع الأموال التي عنده للإمام فلم يفلح ، وأخيرا قصده الى داره وعنده جماعة من اصحابه فقال له : انشدك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان بحمل ما عندك من المال لي ، فقال له : اللهم نعم ، فنهض ابو جعفر العمري وأصيب القوم بما يشبه الذهول ، فلما انجلى عنهم قال له اخوه ابو الطيب : من اين رأيت الإمام المهدي ، فقال : ادخلني ابو جعفر العمري الى بعض دوره فأشرف علي المهدي من علو داره وأمرني بحمل ما عندي من المال اليه .

ومنهم محمد بن احمد بن عثمان وهو ابن اخ العمري وكان معروفا بالانحراف عند ابي جعفر العمري وقد لعنه وتبرأ منه وحذر منه اصحابه ، وصادف ان جماعة من رواة الشيعة وخواصهم كانوا في مجلس العمري يتذاكرون في احاديث الأئمة (ع) واذا بمحمد بن احمد بن عثمان قد اقبل عليهم ، فلما رآه عمه ابو جعفر مقبلا قال للجماعة : اسكتوا فان هذا الجائي ليس من اصحابكم ، وكان مع ذلك من الخمسة يقول بمقالة ابي دلف محمد ابن المظفر الكاتب ، القائل بأن الخمسة : سلمان الفارسي وأبا ذر الغفاري ،

والمقداد بن الاسود ، وعمار بن ياسر ، وعمرو بن امية العمري ، موكلون بمصالح العالم من قبل الرب .

ويبدو من بعض المؤلفين في الفرق ان الكرخيين واتباعهم من انصار هذه المقالة ، وقد تتلمذ عليهم ابو دلف محمد بن المظفر ، وعدهم المؤلفون في المذاهب من فرق الغلاة الذين انحرفوا عن الإسلام والتشيع في تلك الفترة من التاريخ[1] .

ومنهم محمد بن الشلمغاني المعروف بأبي العزاقري ، وكان صالحا مستقيم العقيدة جليلا عند الشيعة في المراحل الاولى من حياته وقد وكله الحسين بن روح بالقيام ببعض شؤونه عندما طارده المعتمد العباسي واستتر عنه وعن اجهزته فرجع اليه الشيعة في حوائجهم ومهماتهم كما جاء في غيبة الطوسي ، وكانت تواقيع الإمام المهدي تخرج اليه بواسطة الحسين بن روح ، وألف في حال استقامته كتبا منها كتاب التكليف ، ولما انتهى منه تتبعه الحسين بن روح فوجد اكثره موافقا لمرويات الأئمة (ع) ، وله ايضا كتاب التأديب ، وقد ارسله ابن روح الى علماء الشيعة ورواة احاديثهم في قم لينظروا فيه ، فكتبوا اليه كما يدعي الراوي انه صحيح لا شيء فيه يخالف المذهب الا قوله الصاع في الفطرة نصف صاع من طعام ، وكان الحسين بن روح يراقب كتبه على ما يبدو مخافة ان يضع فيها ما يخالف مذهب الامامية ، مما يشير الى انه مر في مرحلة لم يكن يثق به ، وأخيرا ظهر انحرافه وأعلن فكرة الغلو وتناسخ الأرواح وحلول الالوهية فيه كما جاء في المجلد السادس من الكامل لابن الاثير .

وقال ابو علي بن همام احد اصحابه : سمعت محمد بن علي العزاقري الشلمغاني يقول : الحق واحد وانما تختلف قمصه فيوم يكون في ابيض ويوم في احمر وآخر في ازرق .

---

(١) انظر ص ٢٥٦ من غيبة الطوسي وفرق النوبختي .

وأضاف الى ذلك ابن الاثير في تاريخه انه كان يقول : ان روح رسول الله انتقلت الى ابي جعفر محمد بن عثمان العمري ، وروح امير المؤمنين انتقلت الى الشيخ ابي القاسم الحسين بن روح ، وروح فاطمة الزهراء انتقلت الى ام كلثوم بنت ابي جعفر العمري الى غير ذلك مما نسب اليه من المقالات التي تدل على الحاده وزندقته .

ويدعي الرواة انه قد خرج توقيع من الإمام المهدي (ع) سنة ٣١٢ يقول فيه : ان محمد بن علي المعروف بالشلمغاني قد ارتد عن الإسلام وألحد في دين الله وادعى ما كفر معه بالخالق ، وافترى كذبا وزورا وقال بهتانا واثما عظيما ، واننا قد برئنا الى الله والى رسوله منه ولعناه عليه لعائن الله من الظاهر والباطن في السر والعلن وفي كل وقت وعلى كل حال وعلى من شايعه وتابعه ومن بلغه هذا القول منا وأقام على موالاته .

ولما اشتهر بغلوه وإلحاده وشاعت آراؤه ومقالاته طلبه وزير المعتمد العباسي عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقاني سنة ٣١٢ فاستتر عنه وفر الى الموصل ، فالتجأ الى ناصر الدولة الحسين بن عبد الله بن حمدان ، وبقي فيها نحوا من اربع سنوات عاد بعدها الى بغداد واستمر يبث فيها أفكاره مستترا عن اجهزة الحكام ، الى ان كانت خلافة الراضي سنة ٣٢٢ فقبض عليه وزيره محمد بن علي بن مقلة وهاجم داره فوجد فيها كتباً ورقاعا يخاطبونه فيها بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضا .

وقد انكر في مجلس الخليفة كل ما نسب اليه من الحلول والالحاد وغير ذلك ، وشهد عليه جماعة من اصحابه بأنه يدعي السفارة للإمام المهدي مكان الحسين بن روح ، وأخيرا جمعه الوزير ابن مقلة مع العلماء والفقهاء وعرض عليهم مقالاته فأفتوه باباحة دمه . فصلبه مع ابن ابي عون احد أتباعه ثم احرقا بالنار كما جاء في كامل ابن الاثير وغيره .

ومنهم الحسين بن منصور الحلاج احد اركان الصوفية والذي لعب دوراً

بارزاً في الشعوذة والاحتيال وظهرت عليه بوادر الزندقة والالحاد ، وأصبح من ابرز شيوخ المتصوفة في عصره القائلين بالحلول والكشف . وقد عده المستشرقون وجماعة من كتاب العرب المحدثين من متصوفة الشيعة كما عدوا التصوف من ثمرات التشيع لعلي والأئمة من بنيه .

وكتب الدكتور كامل مصطفى الشبيبي استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة كتابا في ستمائة وسبع وثلاثين صفحة حول التصوف ومصادره وفروعه اسماه (الصلة بين التصوف والتشيع) وعد فيه ائمة الشيعة من الصوفية ، وواضعي اصول التصوف كما نسب اليهم من المقالات والحالات التي تؤيد فكرة التصوف والتي وضع على اساسها كتابه ، اموراً لا تتصل بتاريخهم من قريب او بعيد ولم يروها عنهم احد من رواة احاديثهم الموثوقين ، بل بعضها افتراء منه ومن غيره اعداء الشيعة ، وبعضها الآخر من صنع الدساسين والغلاة المنحرفين عن الإسلام فضلا عن التشيع كما وان للقصاصين والمذكرين دورا في بعض تلك المرويات التي تصف الائمة وجماعة من اصحابهم بما يشبه التصوف .

والكتاب بمجموعه غريب وبعيد عن المنطق والحق والتحقيق . ويطول بنا الحديث لو اردنا ان نذكر امثلة من آراء الكاتب الشبيبي في الدس وتشويه الحقائق وتحريف التشيع لمجرد التقاء المتصوفة مع الشيعة في بعض الافكار او الصفات ، وقد لفت نظري فصل من فصول الكتاب ، وان كانت كل فصوله وبحوثه تستوقف الباحث المجرد .

هذا الفصل بعنوان الفتوة والملامتية ، فالفتوة كما يستفاد من مجموع حديثه عنها مصدرها القرآن الكريم حيث ورد هذا الوصف في اكثر من آية فيه ، وجاء على لسان النبي (ص) لا فتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار ، واستعملها الصوفية لابطالهم ومن يتغلبون على اهوائهم وشهواتهم ، والملامتية الصوفية تؤدي معنى التقية الشيعية ، وهي تتطلب من مريديها الا يظهروا

عبادتهم او ورعهم وزهدهم ، فالملامتية والتقية تتحدان في الغرض وهو صون السر والعقيدة حتى لا يطلع عليهم اعداؤهم ويعرضوهم للضرر ، ومن حيث ان الفتوة والملامتية مأخوذان من التشيع على حد زعمه كانت الصلة اكيدة بين التصوف والتشيع كما هو المتحصل من بحثه الطويل الذي عرض فيه مراحل هذين الوصفين الى غير ذلك مما جاء في كتابه من الهراء والافتراء على الشيعة .

ومن الاخطاء التي لا مبرر لها ان فريقا كبيرا من الكتّاب يرون ان التصوف مصدره الشيعة وأئمتهم في حين ان التشيع بعيد عن التصوف والمتصوفة ولا يمت اليهما بصلة من الصلات، اما الدعوة الى الزهد في الدنيا التي وردت في المرويات عن أهل البيت والتي كانت من صفاتهم ، فلا تعني اكثر من ان لا يجعل الانسان الشهوات والاهواء كل همه وينصرف عن العمل لآخرته ، وكانوا يريدون من المسلمين ان يطبقوا تعاليم القرآن الداعية الى الدنيا والآخرة ، حيث يقول :

﴿ **وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾، ويقول : ﴿ **قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي خالصة للذين آمنوا** ﴾ ، وقال النبي (ص) : ملعون من ترك دنياه لآخرته ، ومن ترك آخرته لدنياه .

وقال الإمام الصادق (ع) : اورع الناس من وقف عند الشبهة وأعبد الناس من اقام الفرائض ، وأزهد الناس من ترك الحرام .

وأحاديث أهل البيت (ع) مليئة في الحث على السعي في طلب الرزق والعمل في هذا السبيل ، والتنديد بالكسالى والذين لا يساهمون حسب طاقاتهم وامكانياتهم في بناء المجتمعات حسبما تفرضه مقتضيات الزمان والمكان ، هذا بالاضافة الى ان التصوف بمعناه الذي عرف فيه خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين كان ستارا للالحاد والشعوذة وتشويه معالم الإسلام كما يبدو ذلك من

تاريخ المتصوفة خلال تلك الفترة من التاريخ .

على ان الحلاج والنميري والشلمغاني وأمثالهم من الشيعة من اسوأ انواع الافتراءات التي تراكمت على الشيعة خلال تاريخهم الطويل ، ولا اريد ان اتحدث عن الحلاج في المقام وشعوذاته وإلحاده الا بمقدار ما له صلة بإدعائه السفارة للإمام المهدي (ع) .

فلقد جاء في الكنى والالقاب للقمي عن الخطيب البغدادي انه قال : لما قدم الحسين بن منصور الحلاج الى بغداد ادعى السفارة عن الإمام المهدي (ع) واستغوى كثيرا من الناس والرؤساء وكان طمعه في الرافضة لدخوله في طريقتهم ، وأراد ان يغري ابا سهل بن اسماعيل بن علي النوبختي وكان من العلماء الاجلاء ويمت الى الشيخ ابن روح النوبختي برابطة النسب ، فراسله يستغويه ، في حين ان ابا سهل كان مثقفا فطنا ، فقال لرسوله : هذه المعجزات التي يظهرها قد تأتي فيها الحيل والشعوذات ، وأنا رجل غزل ولا لذة لي اكبر من النساء وخلوتي بهن ومبتلى مع ذلك بالصلع حتى اني اطول قحفي وآخذ به الى جيبي وأشده بالعمامة ومبتلى بالخضاب لستر الشيب ، فان كان باستطاعته ان يصل لي شعرا ويرد لحيتي سوداء بلا خضاب آمنت بما يدعوني اليه كائنا ما كان ، ان شاء قلت انه باب الإمام ، وان شاء قلت انه النبي ، وان شاء قلت انه الله ، فلما سمع الحلاج جوابه يئس منه وكف عنه .

ويدعي الرواة ان الحلاج ذهب الى قم وهي من اعظم معاقل العلماء والمحدثين يوم ذاك وكتب الى علي بن موسى بن بابويه والد الصدوق مدعيا انه رسول الإمام المهدي اليهم ووكيله فلما وصله الكتاب مزقه وقال لرسول الحلاج : ما افرغك للجهالات وسخر منه من كان حاضرا في المجلس بعد ان عرفوا محتوى كتابه .

وجاءفي الرواية التي وصفت محاورة ابن بابويه لرسول الحلاج ان ابن

بابويه نهض الى دكانه ومعه جماعة من اصحابه وغلمانه وعندما وصلها نهض لاحترامه كل من كان هناك سوىٰ رجل منهم بقي جالساً لم ينهض ، ولما جلس سأل عنه ، فقال له : تسأل عني وأنا حاضر اشاهدك عندما خرقت رقعتي ، فقال له ابن بابويه : فأنت الحلاج اذن ، ثم امر غلمانه فأخرجوه وقال له : اتدعي المعجزات عليك لعنة الله ، ثم اخرج من مدينة قم ولم يدخلها بعد ذلك ابدا .

ونكتفي بهذه اللمحات عن اولئك المشعوذين والملحدين كالحلاج وأمثاله من الذين ادعوا السفارة للإمام محمد بن الحسن (ع) ليعبروا منها الى تنفيذ اهدافهم وترويج مقالاتهم المنافية للإسلام ، وقد اعلن الأئمة كفر هذه الفئات وإلحادهم وأمروا اصحابهم بلعنهم والبراءة منهم كما اشرنا الى ذلك خلال حديثنا عنهم في الفصول السابقة من هذا الكتاب .

وكلاء الإمام في الغيبة الصغرى

يدعي المؤلفون في احوال المهدي المنتظر (ع) انه خلال الغيبة الصغرى التي تولى له السفارة فيها اربعة اختارهم لهذه المهمة وعهد اليهم بأن يكونوا واسطة بينه وبين الجماهير الشيعية في مختلف المناطق ، خلال هذه الفترة قد اختار جماعة من ثقات الشيعة وأوكل اليهم مساندة سفرائه في بعض المهمات لتذليل الصعوبات التي كانت تعترض تحركاتهم بواسطة مراقبة الحكام وأجهزتهم ، وكانت مهمة الوكيل محدودة بالقياس الى مهمة السفير ، ذلك لأن السفير كان يتصل بالإمام مباشرة ويأخذ منه التعليمات والتواقيع ، ويقوم بأكثر مسؤولياته حسب التوجيه الذي يتلقاه منه ، في حين ان مسؤولية الوكيل في الغالب في حدود منطقته كاستلام الاخماس وتسهيل اتصال الشيعة بالسفراء ليرفعوا اليهم حوائجهم وتبليغ الاحكام والتوجيه ونحو ذلك ، وقد عد منهم الصدوق في النسخة المخطوطة من اكمال الدين كما جاء في موسوعة الإمام المهدي للسيد محمد صادق الصدر جماعة منهم حاجز بن يزيد .

وجاء فيه من رواية المفيد عن الحسن بن عبد الحميد أنه قال : شككت في امر حاجز فجمعت شيئاً ثم صرت الى سامراء فخرج الينا جواب الإمام (ع) ليس فينا شك ولا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا رد وما معك الى حاجز بن يزيد .

ومنهم البلالي ابو طاهر محمد بن علي بن بلال قبل انحرافه مع المنحرفين والمشعوذين ، وقد عبر عنه المهدي في بعض التوقيعات المنسوبة اليه بالثقة المأمون العارف بما يجب عليه كما جاء في رواية الكشي ، ولكن الطوسي عده مع الادعياء المشعوذين ، وليس ببعيد ان يكون في بداية امره من الموثوقين ولكنه انحرف بعد ذلك كما حدث لغيره ممن كانوا من الثقات بين اصحاب الأئمة (ع) .

ومنهم محمد بن ابراهيم بن مهزيار ، وعده ابن طاوس من السفراء والابواب الّذين لا يختلف الامامية فيهم كما جاء في جامع الرواة ، ولا بد وان يكون المراد من سفارته ما يشمل الوكالة لان انحصار السفراء بالاربعة من المتفق عليه بين الامامية .

وجاء في غيبة الطوسي ان محمد بن مهزيار كان يقول : شككت عند مضي ابي محمد العسكري ، وكان قد اجتمع عند ابي مال كثير فحمله وركب السفينة وخرجت معه مشيعا فوعك وعكا شديدا فقال : ردني فهو الموت واتق الله في هذا المال وأوصى إلي ومات .

ومضى يقول : فحملت المال بعد الفراغ من امره وقدمت العراق واكتريت دارا على الشط وبقيت اياما فإذا انا برسول معه رقعة فيها : يا محمد معك كذا وكذا من المال ، وقص علي جميع ما تركه ابي من المال ولم اكن اعرفه على حقيقته ، فسلمت المال الى الرسول وبقيت اياما فخرج الي توقيع يقول فيه قد اقمناك مقام ابيك فاحمد الله .

ومنهم احمد بن اسحاق بن سعد بن مالك الاشعري ، وكان واسطة بين القميين والائمة الجواد والهادي والعسكري ، وأدرك شطرا من غيبة الإمام المهدي ، وهو الذي عرض عليه الإمام العسكري ولده المهدي حينما سأله عن خليفته وأراه اياه وحدثه ببعض ما يكون من امره خلال غيبتيه الصغرى والكبرى .

ومنهم محمد بن صالح بن محمد الهمداني الدهقان ، وجاء في رجال الكشي انه ورد في توقيع المهدي الى اسحاق بن اسماعيل : اذا وردت بغداد فاقرأه على الدهقان وكيلنا وثقتنا الذي يقبض من موالينا ، ويدعي في جامع الرواة ان الهمداني الدهقان غلا في آخر امره ولعنه المهدي (ع) ، وقال فيه : لقد ابدله الله بالايمان كفرا حين فعل ما فعل وعاجله الله بالنقمة ، واحتمل بعض المؤلفين في الرجال ان الدهقان الذي لعنه الإمام هو عروة بن يحيى الدهقان لا محمد بن صالح الهمداني الدهقان ، وليس ذلك ببعيد .

ومنهم محمد بن جعفر الاسدي ، وقد وصفه المهدي المنتظر بالامانة وأمر بدفع الاموال اليه كما جاء في رواية النجاشي .

ومنهم القاسم بن العلا من منطقة اذربيجان ، ومحمد بن شاذان بن نعيم النيسابوري ، وابراهيم بن مهزيار ، والحسين بن علي بن سفيان البزفوري الى غير هؤلاء ممن اوكل اليهم الإمام (ع) بعض ما يهمه من امور المسلمين وقبض الاخماس وقضاء الحاجات ، وكانوا كما ذكرنا يتصلون بالامام احيانا عن طريق سفرائه الذين اعتمدهم لقضاء الحوائج وحل المشاكل وأخرى عن طريق المراسلة ، وكان بعض وكلائه وسفرائه يتعاطى مهنة التجارة التي تساعده على التجول في المناطق لتضليل اجهزة الحكام الذين كانوا يراقبون الامام وتحركات سفرائه ووكلائه كما يبدو ذلك من المرويات التي تتحدث عنهم .

وتشير المرويات التي وصفت حياة المهدي انه خلال الفترة الاولى من حياته التي عرفت بالغيبة الصغرى كما كان يلتقي بسفرائه الاربعة ووكلائه المنتشرين هنا وهناك احيانا كان يلتقي ببعض الخواص من شيعته ويحل مشاكلهم ، بالرغم من ان السلطات الحاكمة كانت تتحراه بأقصى مراتب الدقة ، وتراقب سفراءه ووكلاءه وتلاحقهم احيانا بواسطة اجهزتها ، وقد هاجمت داره اكثر من مرة للقبض عليه ، وبعد فشل محاولات المعتمد العباسي التي بذلها للقبض عليه بتحريض من عمه جعفر ابن الإمام الهادي ،

بعد فشل هذه المحاولة ، جرب المعتضد الذي جاء الى الحكم بعد تسعة عشر عاما مرت من حياة الإمام (ع) حاول اكثر من مرة كما يبدو من بعض المرويات ان يقبض عليه في داره ، فكان يرسل الجيش تلو الجيش فيحاصرها ويفتشها تفتيشا دقيقا ، وكان الله سبحانه يحول بينه وبين مراده تكريما منه لمن اصطفاهم من عباده واجتباهم اليه من خلقه .

بالرغم من كل ذلك ، فقد كان الإمام المهدي (ع) يجتمع بخاصته وشيعته ويحل مشاكلهم حسب ما يراه صالحا لهم ، وأغلب الذين كانوا يجتمعون اليه كما تحدث الروايات كانوا يصابون بما يشبه الذهول والغفلة حين اجتماعهم به ، فيغيب عن اذهانهم ، ولا يلتفتون الى انه هو صاحبهم الا بعد ان يفارقهم ، وأحيانا كان هو يعرفهم بنفسه لمصلحة تقتضي ذلك .

وجاء في بعض المرويات انه قال لبعض من اجتمع اليه وكان عنه غافلا : ما كان لك ان تراني لولا المكذبون القائلون اين هو ومتى كان وأين ولد ومن رآه ، وما الذي خرج اليكم منه ، وبأي شيء نبأكم وأين معجزاته ؟ يا عيسى بن مهدي خبر اولياءنا بما رأيت واياك ان تخبر عدونا ، قال الراوي : فقلت له يا مولاي ادع لي بالثبات ، فقال : لو لم يثبتك الله ما رأيتني .

وروى في البحار رواية ثانية عن عيسى بن مهدي جاء فيها انه رآه واجتمع اليه وأكل على مائدته كما روي أن الحسن بن الوجناء النصيبي قد اجتمع به في مكة وكان ساجدا في الحرم يتضرع الى الله ويدعوه فجاءته جارية واستدعته فمشى معها حتى انتهى الى دار خديجة ام المؤمنين فجاءه النداء : اصعد يا حسن ، فصعد ووقف على باب البيت ، فقال له المهدي (ع) : يا حسن اتراك خفيت علي ، والله ما من وقت في حجك الا وانا معك فيه ، وجعل يعد عليه اوقات حجه فغاب عن الدنيا ولم ينتبه الا ويد الامام على صدره .

كما روى الطوسي في غيبته عن رجل يدعى الازدي انه رآى وهو يطوف

حول الكعبة شابا حسن الوجه طيب الرائحة مهيباً وهو مع هيبته قريب من الناس ، ولم يسمع احسن من كلامه ولا اعذب من منطقه ، وانه سأل عنه بعض الناس فقيل له : انه ابن رسول الله يظهر للناس في كل سنة يوما لخواص اصحابه فيحدثهم ويتحدثون اليه ، وجاء في الرواية انه دنا منه وطلب منه ان يحدثه فدعا له وأخبره بأنه القائم .

الى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي تنص على انه كان يجتمع الى الناس في ايام الموسم في مكة والمدينة ويحدث خواص الشيعة ويتحدثون اليه بما يهمهم من امر آخرتهم ودنياهم ويقبض الأموال من الشيعة مرة بواسطة سفرائه ، وأخرى بواسطة وكلائه المنتشرين في مختلف المناطق للتخفيف على سفرائه وتسهيل مهماتهم .

وثالثة بنفسه كما تشير الى ذلك بعض المرويات ، ومما لا شك فيه ان ظهوره احيانا لسفرائه والخاصة من اصحابه كانت تعترضه كثير من الصعوبات ، ولا يتم الا في ظروف بعيدة عن اعين الحكام وأجهزتهم ، وحتى عن اكثر الشيعة .

ولو افترضنا ان بعض تلك المرويات او اكثرها من صنع المحبين كما هو ليس ببعيد ، فمما لا شك فيه انه خلال الفترة الاولى من حياته التي انتهت بوفاة السفير الرابع الشيخ السمري سنة ٣٢٩ ، وله من العمر اربع وسبعون عاما قضى منها مع ابيه اربع سنوات ونصف وتسعة وستين عاما ونصف بعد أبيه ، فخلالها لم يكن منقطعا عن الناس انقطاعا كاملا بل كان يتصل بالخواص والسفراء احيانا عند الضرورات الملحة بعيدا عن عيون الناس خوفا من الحاكمين الذين اعجزهم امره بمشيئة الله سبحانه .

اسطورة السرداب

من المتفق عليه ان الغيبة الصغرى قد انتهت بوفاة سفيره الرابع الشيخ السمري وبدأت بوفاة سفيره المذكور الغيبة الكبرى التي عبر عنها الإمام الصادق (ع) بأنها من سر الله وغيب الله ، وستبقى حتى يأذن الله له بالفرج ، اما اين كان خلال الفترة الاولى من حياته ومن اين انطلقت غيبته الكبرى وأين هو منذ بدايتها وحتى نهايتها ، فالذي نؤمن به وتؤكده النصوص الصحيحة ان مقره خلال الفترة الاولى من حياته كان بيت ابيه العسكري (ع) في الغالب ، وكان يتستر عن الحاكمين وعيونهم وجلاوزتهم احيانا في مخبأ في البيت يسمونه السرداب الذي كان ولا يزال يستعمل في بيوت العراق للوقاية من حر الصيف اللاهب .

وعندما كان يشتد الطلب عليه ويحاصر بيته كان يخرج منه محاطا بعناية الله ورعايته كما حدث له اكثر من مرة ، كان يغيب عن بيته ويحضر المواسم الدينية في كل عام وحتى مجالس اصحابه وتجمعاتهم لحل مشاكلهم وقضاء حوائجهم من حيث لا يعرفه الا صفوة الصفوة في بعض الاحيان كما جاء ذلك في بعض النصوص .

ومن بيته انطلقت الغيبة الكبرى وخرج منه بلا شك في ذلك الى بلاد الله العريضة يعيش مع الناس ويقاسي مما تعانيه البشرية من ظلم واضطهاد

وتشريد وتجويع ، ويحضر مواسم الحج وغيرها من المناسبات ولا يعرفه احد حسب التخطيط الالهي والمصلحة التي لا يعدو الحديث عن أبعادها وأسرارها ان يكون من نوع التكهن والاستحسان .

ومهما كان الحال فالحديث عن هذه الناحية وأسرارها شائك ومعقد ، ومنكر وجوده وغيبته خارج عن التشيع ، وربما عن الإسلام اذا رجع انكاره الى تكذيب النبي فيما اخبر به اما كيف ولماذا فأمر ذلك الى الله وحده وليس هذا عليه بعزيز ، وسلام الله على من قال : انه سر من الله وغيب من غيبه .

وقد استغل الحاقدون على الشيعة ذكر السرداب في بعض المرويات التي تعرضت للمهدي والمراحل التي مر بها ، وما يصنعه عوام الشيعة خلال زيارتهم لمرقد الامامين الهادي والعسكري (ع) من الصلاة والدعاء في المكان المعروف ببيت الإمام الحسن العسكري (ع) لقد استغلوا ذلك للدس والافتراء على الشيعة كما هي عادتهم عندما يجدون منفذا لذلك فقالوا في جملة ما قالوه : ان الشيعة يعتقدون بأنه دخل السرداب ، وأمه تنظر اليه وما زال يسكنه ولم يخرج منه خلال هذه المدة الطويلة ، وقال بعض شعرائهم في ذلك :

ما آن للسرداب ان يلد الذي ... غيبتموه بجهلكم ما آنا
فعلى عقولكم العفاء فانكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا

وقال الكنجي في كتابه البيان : ان بقاءه حيا في السرداب طيلة هذه المدة بدون طعام وشراب تم له بقدرة الله سبحانه الى غير ذلك من الهراء الذي لا يعتمد على اساس معقول او حديث صحيح مقبول .

وقد ذكرنا ان حياته في المرحلة الاولى كانت في بيت ابيه وخارجه احيانا وكان يتستر عن الناس خوفا من الحاكمين الذين كانوا يتحرون وجوده ويلاحقونه وسفراءه احيانا ، وربما كان يلجأ الى السرداب الذي لا يخلو منه بيت من بيوت العراق ، وفي المرحلة الثانية قد خرج منه حتما الى بلاد الله

الواسعة ليعيش كغيره من الناس .

اما كيف والى اين ومتى سيظهر لاداء مهمته التي ادخره الله لها فأمر ذلك الى الله واذا تعسر علينا ان ندرك الحكمة في غيبته وأسرارها فما علينا الا الاذعان والتسليم لقول من لا ينطق عن الهوى . لا سيما وان العقل لا يرى ذلك محالا ، في حين ان نوحا النبي قد عمر قبله اكثر من الف سنة كما اخبر بذلك القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كما اخبر ببقاء عيسى وكذب اليهود فيما ادعوه من قتله فقال : ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه** ﴾ ﴿ . . . **يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً** ﴾ .

فظاهر هذه الآية انه لا يزال حيا ، كما وان الآية السابقة تنص على ان اليهود لم يقتلوه ولم يصلبوه بل رفعه الله اليه .

اما الآية : ﴿**اني متوفيك ورافعك الي**﴾ ، فلا ظهور فيها في وفاته كما ادعاه بعض المفسرين ذلك لجواز ان يكون المراد منها ، اني موفيك اجرك ورافعك الي ، وعلى تقدير ان المراد من الوفاة في الآية هو الموت ، فلا ظهور فيها على انه قد وقع فيما مضى والعطف بالواو لا يفيد الترتيب كما هو المعلوم من موارد استعماله ، ولو اغمضنا عن حياة عيسى بن مريم ففيما حكاه الله في كتابه عن نوح مع قومه خير شاهد على ان الانسان قد يعيش زمنا طويلا ، وفي الحديث والتاريخ عن اخبار المعمرين ما يؤكد هذه الحقيقة .

فقد جاء عن لقمان بن عاد انه عاش اكثر من خمسمائة عام وأدرك سبعة انسر في حياته ، وقال فيه الأعشى :

لنفسك اذ تختار سبعة انسر ... اذا ما مضى نسر خلوت الى نسر
وقال لادناهن اذ حل ريشه ... هلكت وأهلكت ابن عاد وما تدري

وذكر الرواة ان قس بن ساعدة الايادي عاش سبعمائة سنة وقيل اكثر

من ذلك ، كما ذكروا ان عمر بن ربيعة بن كعب المعروف بالمستوغر عاش اربعمائة عام وتوفي قبيل ظهور الإسلام وهو القائل كما يدعي الاخباريون :

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وبلغت من عدد السنين مئينا
مائة اتت من قبلها مائتان لي ... وازددت من عدد الشهور سنينا
هل قد بقي الا كما قد فاتنا ... يوم يكر وليلة تحدونا

ومن المعمرين زهير بن خباب ، فقد عاش مائتين وعشرين عاما كما يدعي السيد المرتضى في اماليه ، ومنهم ذو الاصبع العدواني فقد جاء في اخباره انه عاش ثلاثمائة سنة وقيل اقل من ذلك ، كما ادعى الاخباريون ان الربيع بن ضبع الفزاري اخبر عن نفسه بأنه عاش مائتي سنة في فترة عيسى وأكثر من مائة في الجاهلية ، وبقي حيا حتى ادرك عبد الملك بن مروان وأنشده :

اذا عاش الفتى مائتين عاما ... فقد ذهب اللذاذة والغناء

وله حوار طويل وحديث طريف مع عبد الملك يوم دخل عليه وجعل يحدثه عما شاهده في حياته الطويلة وأخبار الماضين كما نص على ذلك اكثر المؤرخين .

ومن المعمرين عبد المسيح بن بقلة الغساني ، فلقد عاش كما يدعون اكثر من ثلاثمائة وخمسين عاما الى غير ذلك مما يرويه المحدثون والمؤرخون عن عشرات المعمرين الذين تجاوزت اعمارهم عن المألوف بين البشر منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا ، وفي مجاميع الحديث السنية والشيعية اخبار كثيرة تنص على ان الخضر عاش زمنا طويلا وفي اكثرها انه لا يزال حيا .

واذا صحت اخبار الرواة عن المعمرين وليس ذلك ببعيد فهو على خلاف المألوف من حياة البشر ، والشيعة لا يدعون بأن حياته الطويلة على وفق المألوف بل يقولون بأن ذلك لأمر اقتضته مشيئة الله سبحانه كما اقتضت

مشيئته ان يعيش نوح الف عام او اكثر من ذلك ، كما وان احتجابه عن الناس لا يتنافى مع امامته بعد ان كان لمصلحة تقتضيه كما كان يحتجب بعض الانبياء عن قومهم خوفا على حياتهم او لمصالح اخرى . والمسؤولية في ذلك تقع على عاتق الأمة التي اضطرته لأن يختفي عن الناس كما اضطرت آباءه من قبله للتقية من الظالمين والتستر في دعوتهم اكثر الاحيان . والحديث عن هذه النواحي من سيرته شائك وطويل وقد كتب الشيعة فيها عشرات الكتب ودافعوا عن عقيدتهم بالمنطق والدليل منذ اقدم عصورهم حتى عصرنا الحالي .

وبما اني قد اخذت على نفسي ان اختصر حسب الامكان ، فاني اكتفي بهذا المقدار من الحديث عن سيرة الأئمة (ع) واعترف بعجزي عن الاحاطة بواقعهم وجميع جوانب سيرتهم الحافلة بكل معاني الخير والفضيلة وهو عذري اليهم والصلاة والسلام عليهم وعلى جدهم المصطفى الذي بعث رحمة للعالمين ورحمة الله وبركاته .

الموضوع	الصفحة
من اجوبة الإمام الرضا ومناظراته	٤٠٢
لمحات عن دور الإمام الرضا في التشريع	٤١٠
من عظاته وحكمه	٤١٦
وفاة الإمام الرضا	٤١٩
الإمام التاسع محمد بن علي الجواد (ع)	٤٢٥
قصة زواج الامام الجواد من ابنة المأمون كما يرويها المؤرخون	٤٣١
الإمام الجواد يعود الى المدينة	٤٣٥
من اجوبته وعظاته وكلماته القصار	٤٤٣
وفاة الإمام الجواد (ع)	٤٤٧
الإمام العاشر علي بن محمد الهادي (ع)	٤٤٩
دور الإمام الهادي في التشريع	٤٥٦
موقف الإمام الهادي من الغلو والغلاة	٤٦١
رحيل الإمام علي الهادي الى سامراء وأسبابه	٤٦٦
من حكمه ومواعظه	٤٧٤
وفاة الإمام الهادي	٤٧٦
الإمام الحادي عشر الحسن بن علي العسكري (ع)	٤٧٩
النص عليه بالامامة	٤٨٣
الإمام مع حكام عصره	٤٨٥
التشيع في عهد الإمام العسكري	٤٩٣
من اجوبته وكلماته القصار	٥٠١
وفاة الإمام (ع)	٥٠٧
الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن المهدي (ع)	٥١١
المهدي في الاديان	٥١٦

الموضوع ــــــــــــــــــــــــــــ الصفحة

النصوص الاسلامية على امامة الثاني عشر وظهوره ٥٢٢

نماذج مما ورد عن الأئمة في المهدي وامامته وغيبته ٥٢٨

موقف جعفر بن علي من ابن اخيه المهدي ٥٣٤

السفراء الأربعة في الغيبة الصغرى ٥٣٩

المدعون للسفارة عن الإمام المهدي (ع) ٥٤٥

وكلاء الإمام في الغيبة الصغرى ٥٥٤

اسطورة السرداب ٥٥٩

اهم المصادر ٥٦٥

الفهرس ٥٦٩